
افلة الزيت
ربيع الأول ١٣٩٣/ ابريل - مايو ١٩٧٣
TAXI

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

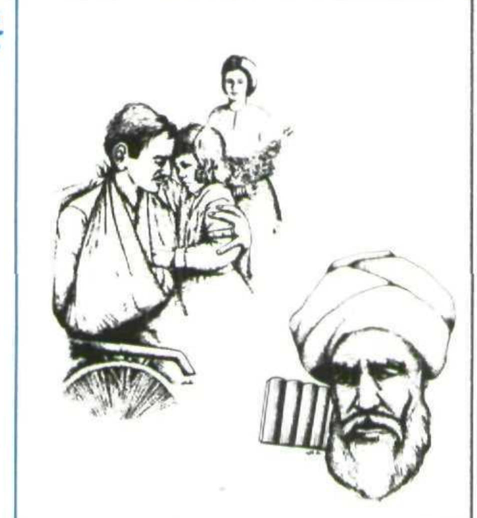
العدد الثالث المجلد الحادي والعشرون

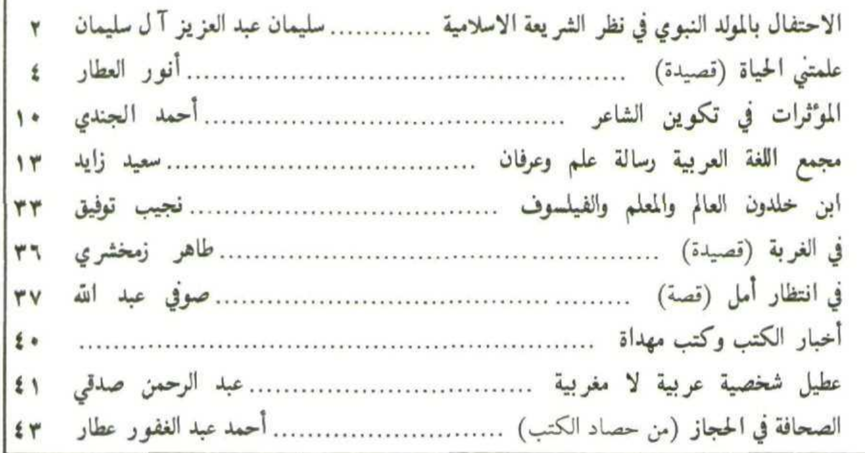
تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها
ادارة العلاقات العامة - توزع مجاناً

العنوان : صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

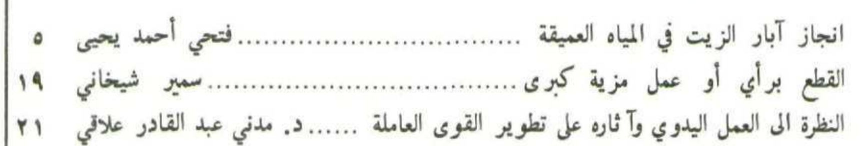
بحوث أدبية





بحوث علمية





إستطلاعات مصورة



التعليق على صورة الغلاف



قلعة جبيل الأثرية في لبنان تصافح مياه البحر الأبيض المتوسط ، راجع مقال (جبيل والقلعة) .
تصوير : خليل أبو النصر

المدير العام : فيصل محمد البسام المدير المسؤول : عبد الله صالح جمعة
رئيس التحرير : منصور مدني المحرر المساعد : عوني ابو كشك

AL-MUTAWA PRESS CO. DAMMAM, SAUDI ARABIA

الاحتفال بالمولد النبوي في نظر الشريعة الإسلامية



بقلم فضيلة الاستاذ سليمان عبد العزيز آل سليمان

لم يكن الاحتفال بالمولد النبوي معروفا في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ولا في عهد الخلفاء الراشدين والسلف الصالح . والمشهور أن أول من أحدث هذا الاحتفال هو : أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي ابن بكتكين التركماني ، صاحب اربل ، في أوائل القرن السابع أو أواخر القرن السادس ، بعد أن ولي على اربل في ذي الحجة سنة ٥٨٦ ست وثمانين وخمسمائة من الهجرة ، وكان ينفق على المولد ألوفا كثيره ، وتنصب له القباب ، وتزين بأنواع الزينة الفاخرة ، ويجتمع فيها من كل الطبقات لمزاولة ضروب الملاهي والأغاني . وكان الناس يتركون جميع أعمالهم في تلك الأيام وينقطعون للتفرج والدوران على هذه القباب وما يعج فيها من لهو وصخب وطقوس وضرب الطبول ، ونحر الابل وذبح البقر والغنم ونصب الموائد المختلفة ، واشعال الشموع .

وقد انتشرت هذه العادة وأدخل عليها ضروب من العادات والتقاليد واتخذها جمع غفير من المسلمين عبادة ، وحسنوها للعامة وتوسعوا في ذلك حتى شملت الكثير من أقطار العالم الاسلامي ، وأخذت تزدان بها البيوت والمساجد في شهر ربيع الأول كل عام ، وفي يوميه الحادي عشر والثاني عشر على وجه الخصوص ، معتقدين أن هذا العمل وهذا الصنيع هو من ابداء الشكر لله ان منّ على البشرية بهذا النبي العظيم صلى الله عليه وسلم . ولكن يقال لم يقم بهذا الشكر وهذا التعظيم أحد من الصحابة والتابعين ولا الأئمة ولا أصحاب القرون الثلاثة الذين سبقونا لكل خير وشهد لهم رسول الهداية عليه الصلاة والسلام بالخيرية . فهل كان صاحب اربل ومن تبعه أعلم وأهدى منهم ، وأعظم شكرا لله ، وأعرف برسالته ؟

لقد اجمعت الأمة على أن أهل الصدر الأول هم أكمل الناس ايمانا واسلاما . ولا شك أن اجتماع الناس في زمان معين وبصفات مخصوصة تشبه الشعائر والعبادات المشروعة والتلبس بها معتقدين أن ذلك عبادة هو بدعة في الدين لم يأذن لها الله . وقد كان بعض الصحابة يتركون بعض المسنونات خشية أن تظن العامة أنها من الواجبات . ولعل بعض العامة يعتقدون وجوب الاحتفال والقيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم ومشروعيتهما ويرون فيمن يتركهما أنه

متهاون في أمر دينه ، أو أنه لا يحب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولا يعظمه ولا يوقره ، ولم يعلموا أن التعظيم الحقيقي والحب الحقيقي هو طاعته عليه السلام والنصح له ، واتباع شرعه ، واعزاز دينه ، وترسم خطاه ، والسير على نهجه ، وهداه ، ونبذ ما يعترض رسالته ويبعدها عن صفائها ونقائها ، ويلبسها ألوانا من الشعائر والطقوس والعادات التي لا تمت الى تعاليمه وتشريعاته بصلة من الصلات . وكان السلف الصالح في صدر الاسلام أشد تمسكا بشريعة الله وهدي نبيه عليه الصلاة والسلام ، وأحرص ممن جاء بعدهم تعظيما للنبي وانقيادا لأوامره يفدونه بأنفسهم وأموالهم ، ولم يؤثر عنهم أو عن أحد منهم أنه اتخذ شيئا من هذه الاحتفالات بمولد رسول البشر ، والتي بلغت مبلغ العبث واللهو وضياع الأوقات والأموال في العصور المتأخرة وضياع الدين فيها بين مظاهر التعظيم المظهري واللساني ، لا العملي ، وكثرت فيه الأقوال وقلت الأعمال

لا شك أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أحق الخلق بكل تعظيم وتبجيل ، وليس من التعظيم أن نبتدع في دينه بزيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل وان جاء ذلك بحسن نية ، فحسن النية لا يبيح الابتداع في الدين . فقد كان جل ما أحدث أهل الملل قبلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية ، وما زالوا يبتدعون بقصد التعظيم وبحسن النية ، حتى صارت اديانهم غير ما جاءت به رسلهم . وقد أدرك ذلك سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ادراكا تاما وعميقا ، فعضوا على سنة نبيهم وشريعة ربهم بالنواجذ ، وحموها من كل دنس وتقليد ومن المظاهر العفوية . ولو تساهل سلفنا الصالح ، كما تساهل أهل الملل قبلهم وكما تساهل أتباعهم تبعا لهم ، لو تساهل سلفنا كما تساهل هؤلاء لضاع أصل ديننا ، غير أن سلفنا الصالح حفظوا لنا الأصل وحرصوا على بقائه نقيا صافيا سالما من شوائب البدع والشعارات التي أوحت بها استحسانات البشر وعقولهم .

إنه ليجدر بالمسلم أن يستقي دينه من أصله ومن معينه الصافي ومن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين درجوا على نهجهم ، وأن يبين للمسلمين الأحداث والبدع ، وأن يحذرهم منها ومن التهاون بها ، وان لا يلصق بالدين ما ليس منه . وقد نقل عن الامام مالك رضي الله عنه أنه قال : من أحدث في هذه الأمة شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لأن الله سبحانه وتعالى يقول **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا »** فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا .

ومما لا ريب فيه أن خلط العبادات باحتفالات مشتملة على اللهو والزينة ، وجعل ذلك عملا مشروعا من قبيل الشعائر الدينية ، وايهام العامة أن تلك العادات والعبادات المبتدعة في هيئتها وتوقيتها أمور دينية مشروعة بهذه الصفة ، هو من التجني على شريعة الله ، والصاق الشوائب والعادات وما نسجته عقول البشر بها ، سواء وضع ذلك عن حسن قصد أو غير حسن قصد ونية . وما الكتب والرسائل التي كتبت عن المولد وما اشتملت عليه من أحاديث موضوعة ومنكرة وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم في بعضها بما لا يليق به ، كالتغزل بجماله ونحو ذلك ، كل هذه تعطي المسلم الواعي الذي استقى ايمانه واسلامه من شريعة الله الخالصة الاصرار على سيرة السلف ، وتحفزه أن يستشعر أننا نحن المسلمين في ظروفنا الحاضرة التي تهددنا فيها التيارات الالحادية والمادية من كل جانب والغزو الأخلاقي يتفشى وينتشر اليوم في حياة المسلمين العامة والخاصة بصفة خطرة ومخيفة ، جدير بنا والحالة هذه أن نطرح تلك الأخلاط والشوائب والتقاليد التي أدخلت من بعض المسلمين في الدين وحسبها الجم الغفير شرعة وعبادة وقربة وليس لها أصل في ديننا . وما أحرى المسلمين أن يرجعوا لصفاء الاسلام وتعاليمه ونبذ المظاهر والشعارات التي ضاع فيها الشيء الكثير من أصول الاسلام وأسسه بين تلك المظاهر والاحتفالات التي نحن في غنى عنها ، وأن نترسم خطوات الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده ، وأن نبدل الأقوال والشعارات الرنانة بالأعمال ، كما كان سلفنا الصالح يفعل . وما نتيجة ضعف المسلمين اليوم وذوبانهم في العالم وضياعهم وضياع حقوقهم وأوطانهم وفقدان عزتهم الا حينما انحرفوا عن صفاء العقيدة الاسلامية وتعاليمها السمحة ، ودب في الأمة التقليد واكتفت بالمظاهر دون الحقائق وبالأقوال دون الأعمال ، وانصرفت عن شريعة ربها وهدي نبيها عليه الصلاة والسلام **« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم »** ∎

سليمان عبد العزيز آل سليمان — الدمام

علمتني الحياة

للشاعر الراحل انور العطار

البشاشة

علّمتني أنّ البشاشة نور ... وكتابٌ من الندى مسطورُ
كرمُ النفس ينجلي في حماها ... وهي عنوانُه الحبيبُ الأثيرُ
إنّما الجودُ شيمةٌ لا تُبارَى ... ليسَ فيه منّ ولا تكديرُ
طبعُهُ الطبعُ قد جلاهُ انطلاقٌ ... وجهُهُ الوجهُ قد علاهُ الحبورُ

الصفاء

علّمتني أنّ الصفاء انتهابُ ... واغتنامٌ ، وللصفاء ارتقابُ
ينبُعُ البشرُ من فؤادكَ نبعا ... منك ورّادُه ومنك الشرابُ
فاغنمِ العيشَ حينَ يقبلُ صفوا ... ليسَ فيهِ رنقٌ ولا فيهِ صابُ
واحيَ للشدوِ والرضا والتسلّي ... فهي أقصى الآمالِ وهي الطلابُ

النسيان

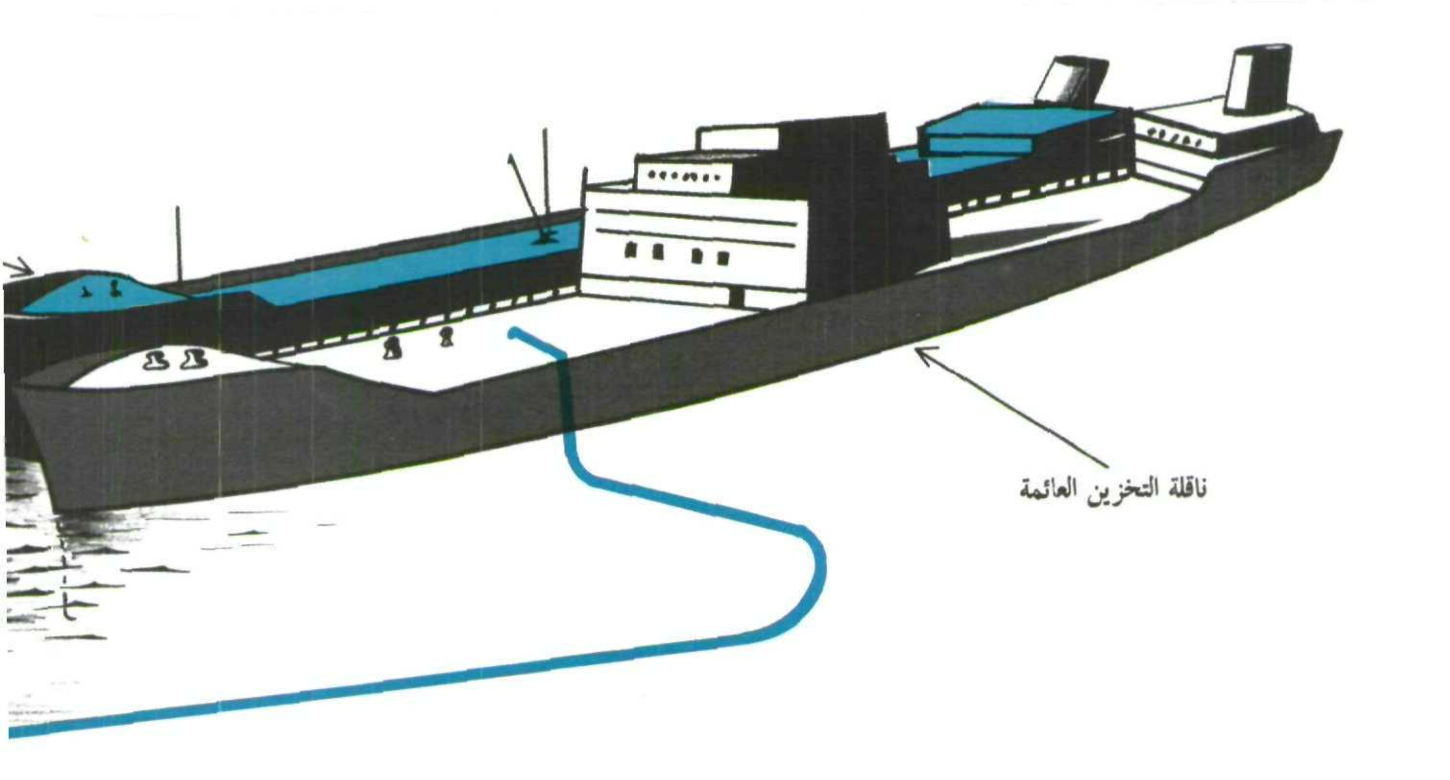
علّمتني الحياةُ أنّ من النسـ ... ـيانِ ما يزدهي بهِ النسيانُ
تتخفّى الأرزاءُ في صدرِه الرحـ ... ـبِ وتُطوى الهمومُ والأحزانُ
هو أنسُ الساري اذا اعتكرَ الليـ ... ـلُ وغابتْ في صمتِها الأكوانُ
وهوَ برءُ المجروحِ إنْ مضّهُ الجرْ ... حُ وعزّ الآسي وجارَ الزمانُ

عفة الفقر

علّمتني الحياةُ أنّ من الفقـ ... ـرِ غنىً لا يشوبُهُ الدهرَ فقرُ
فيهِ من عزّةِ العزيزِ شؤونٌ ... ما لها في كتابِ عمريَ حصرُ
سربلتني نفسي بأرديةِ الصبـ ... ـرِ ، وللصبرِ حيثما كانَ نصرُ
ووقتني قناعتي زخرفَ العيـ ... ـشِ وما مثلها أمانٌ وذخرُ

القريض

علّمتني أنّ القريضَ هو الركـ ... ـنُ الذي ينتهي اليهِ مطافي
فيهِ ما أشتهي من العبقِ الطهـ ... ـرِ وما أرتجي من الأعرافِ
تتصبّاني المعاني الأبيّا ... تُ فتمشي شوقاً اليها القوافي
يسكرُ اللفظُ حينَ يشربُهُ المعـ ... ـنى فيصفو القريضُ صفوَ السلافِ



إنجاز آبار الزيت في المياه العميقة

بقلم المهندس فتحي احمد يحيى

مع كلّ طورٍ من أطوار صناعة الزيت ، تبرز دائماً وسائل فنّية وأساليب متطوّرة تمخّضت عن تقنيةٍ علميةٍ حديثة . ونتيجةً لنموّ الطلب على الزيت ومشتقاته ، فقد أخذت وسائل التنقيب وأساليبه المختلفة تتطوّر وتتحسّن بشكلٍ ملحوظٍ حتى وصلت الى ما هي عليه اليوم من تقنيّة وفعاليّة .

ولعلّ من بين روائع التطور التي حققتها صناعة الزيت في المناطق المغمورة إقامة منصّات بحريّة ومرافق للإنتاج متكاملة وخزانات للزيت في قاع البحر كأول خطوةٍ فريدةٍ في نوعها تشهدها صناعة الزيت عبر تاريخها الطويل .

إن أساليب التكنولوجيا الحديثة والأبحاث المستمرة التي تواكب صناعة الزيت سهلت للعلماء والمهندسين البحث عن الزيت في المناطق المغمورة وخصوصا في المناطق ذات المياه العميقة ، حيث أن التصاميم المعدة لعمليات انتاج الزيت من مثل هذه المناطق تتيح المجال واسعا أمام البحث عن الزيت والغاز واستغلالهما في المياه العميقة .

وقد دلت النظريات العلمية والدراسات الجيولوجية والهندسية على أن هناك كميات هائلة من النفط ما زالت تكمن تحت قيعان المحيطات وفي المياه العميقة لم يجر استغلالها بعد .

واكتشاف الزيت في مناطق مغمورة تتراوح أعماقها ما بين ٧٠٠ و ١٥٠٠ قدم يتطلب مجهودا خاصا وعملا دائبا ، كما هي الحال بالنسبة لانجاز آبار للزيت في مياه خليج « سانتا بربارا » من ساحل كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تقام منشآت الانتاج في مياه يعدل عمقها ضعفي أو أربعة أضعاف عمق مياه أي بئر للزيت أو منصة للانتاج توجد اليوم في المناطق المغمورة .

ان انتاج الزيت في المناطق العميقة المياه سيساعد ولا شك على مواصلة البحث والاستكشاف للوصول الى مكامن جديدة للبترول لمواجهة الطلب المتنامي عليه بشكل هائل عاما بعد عام .

ان التقنية العلمية المستخدمة في انجاز آبار الزيت في المياه العميقة ليست بالجديدة ولكنها امتداد عملي للطرق والأساليب المستعملة منذ فترة طويلة من الزمن لانتاج الزيت من المياه الضحلة ، كما أن معدات الانتاج والخطوات التي تتخذ في عملية الانتاج قد تم تطويرها على نحو يلائم الظروف القائمة لانجاز الآبار تحت سطح الماء في المناطق العميقة . وقد يلجأ رجال الزيت لدى تطوير حقل ما من الحقول في المناطق المغمورة العميقة المياه الى استعمال منصات للانتاج يرافقها جهاز كامل لتجميع الزيت وفرز الغاز منه بالاضافة الى امكان اقامة بعض هذه المنشآت أو بعض أجزاء هذا الجهاز في قعر البحر ترتكز على صخور صلبة .

ان عمليات الحفر في المناطق المغمورة يتم انجازها عادة بأجهزة الحفر التي تثبت على الجزء العلوي من المنصة البحرية الضخمة التي قد يصل ارتفاعها الى ٧٧٥ قدما في مياه يصل عمقها الى حوالي ٧٠٠ قدم، ووزنها نحو ٢٠٠٠٠ طن ، ومساحة جزئها العلوي الذي يجري من خلال الحفر حوالي ١٥٠ قدما مربعا ولها أربع قوائم

وأما الجزء السفلي من هذه المنصة فيشمل عادة أجهزة الانتاج ومولدات الطاقة الكهربائية وأجهزة التحكم في منشآت الانتاج المغمورة تحت سطح الماء . وقد صممت هذه المنصات الضخمة بحيث تستطيع مقاومة الرياح الشديدة والعواصف الهوجاء والأمواج العاتية .

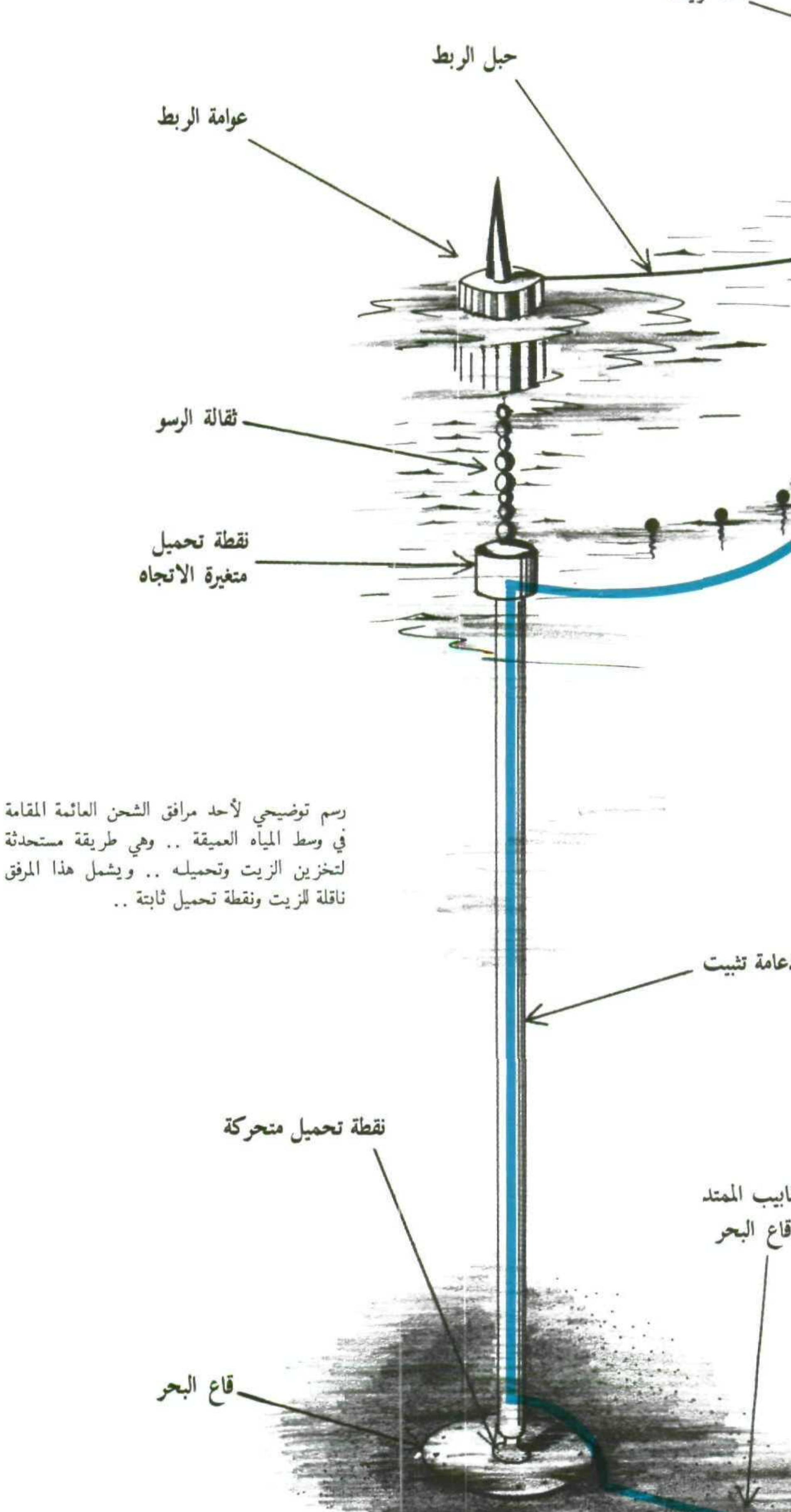
ويتكون « جهاز الانتاج — Production System » المغمور تحت سطح الماء من عدد كبير من الآبار قد يصل أحيانا الى أربعين بئرا ، ويتم انجاز حفر هذه الآبار بأسلوب « الحفر المائل — Directional Drilling » حيث يتم وصل فوهات الآبار المغمورة تحت سطح الماء بجهاز الانتاج المعد لذلك . وبعد ذلك يتدفق الزيت عبر خطوط الجريان الى منصة الانتاج العلوية . كما أن هناك مراكب وسفنا مجهزة بآلات التصوير التلفزيونية والأضواء الخاصة يلجأ الى استعمالها تحت سطح الماء لمتابعة عمليات الاصلاح اللازمة لجهاز الانتاج وذلك بانزال أجهزة الكترونية تدار من فوق سطح الماء الى الأجزاء المعطوبة والمعتلة للكشف عن مواطنها .

أما عن كيفية اقامة المنصة الرئيسية للحفر والانتاج تحت سطح الماء ، فان هذه المنصة العملاقة تقطر عائمة على سطح الماء الى مكان تثبيتها في الموقع المعين لها ، وبعدها يتم انزالها الى الماء ، وقبل القيام بتثبيتها في قاع البحر ، يثبت على كل قائمة من قوائمها الأربع عمودان قطر الواحد منهما ٣٦ بوصة . وعندما تستقر المنصة في قعر البحر تدفع هذه الأعمدة الى أن تخترق طبقة قاع البحر مسافة تتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ قدما وذلك للمحافظة على سلامة هذه المنصة العملاقة وتثبيتها تثبيتا محكما ، وللزيادة في الحيطة ، تركز أعمدة أخرى يبلغ قطر الواحد منها نحو ٣٠ بوصة داخل الأعمدة السالفة الذكر والمثبتة على قوائم المنصة بالاسمنت .

وبعد انجاز عمليات الانتاج في منطقة معينة ، ينقل هذا النوع من المنصات العائمة الى مناطق أخرى للقيام بعمليات حفر جديدة بحثا عن مزيد من التشكيلات الجيولوجية الغنية بالزيت.

مدّ خطوط الأنابيب في قعر البحر

عندما تكون الآبار معدة اعدادا كاملا لممارسة عملية الانتاج ، يشرع على الفور في مد خطوط الجريان وخطوط الأنابيب لتجميع



رسم توضيحي لأحد مرافق الشحن العائمة المقامة في وسط المياه العميقة .. وهي طريقة مستحدثة لتخزين الزيت وتحميله .. ويشمل هذا المرفق ناقلة للزيت ونقطة تحميل ثابتة ..



خزان دبي رقم – ١ خلال عملية قطره الى المكان المعين لتغطيسه وتثبيته فيه وذلك لاستخدامه في تخزين الزيت .

خزان دبي رقم – ١ أثناء مرحلة تغ

الزيت من آباره ليدخل في أنبوب ذي قطر كبير .

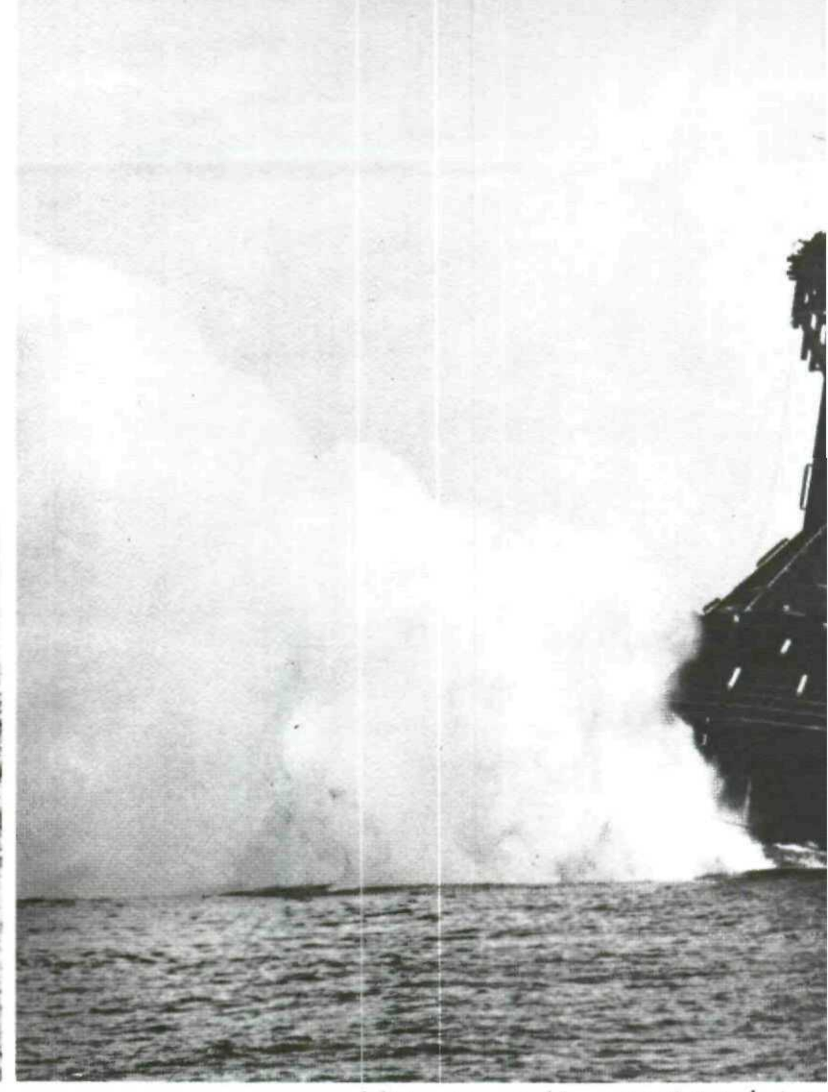
وعملية مد خطوط الأنابيب في المياه العميقة تجري عادة في أعقاب اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة لتأمين سلامة هذه العملية الحيوية وذلك لتوصيل الزيت والغاز من فوهات الآبار الكامنة تحت سطح الماء الى أماكن التجميع والتخزين والشحن. ومن ناحية أخرى يقوم المهندسون المختصون بدراسة دقيقة لتحديد مسار خطوط الجريان التابعة للآبار المنتجة والممتدة على سطح طبقة قاع البحر للتأكد من سلامتها وملاءمتها لعمليات نقل الزيت من حقوله الى أماكن تخزينه أو شحنه. ويشارك المهندسين في هذه الدراسة المساحون وذلك لايجاد قطاع لسطح قاع البحر باستعمال أجهزة المسح السيزموغرافي أو « أجهزة التقاط الصوت – Sonar Scanning Devices ». ومن بين الأمور الأخرى التي يقوم بها المهندسون خلال دراساتهم ، فحص العينات الصخرية الأسطوانية « Cores » المأخوذة من قعر البحر ، وعلى ضوء هذه الدراسات يتسنى للمهندسين تحديد الموقع والمسار الملائمين لخطوط الجريان المراد مدها فوق سطح طبقة قاع البحر ..

وبعد تعيين مسار خطوط أنابيب الجريان حسب الدراسات والتقارير الموضوعة ، يبدأ المسؤولون والفنيون بدراسة التأثيرات الناتجة عن تيارات المياه تحت سطح البحر وكذلك الرياح والأمواج ، وطبيعة قاع البحر وتكويناته المختلفة ، وأخذها في عين الاعتبار وذلك لتحديد الأماكن التي ينبغي طمر الأنابيب فيها تحت سطح طبقة قاع البحر .

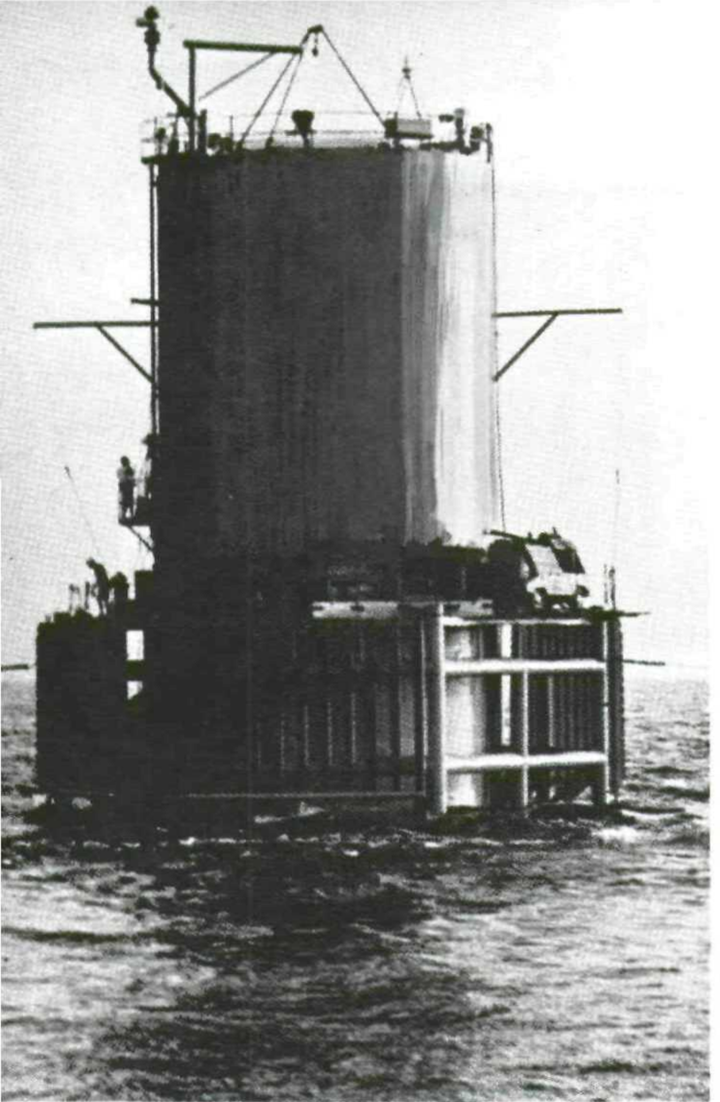
وللمحافظة على سلامة خطوط أنابيب الجريان في المياه العميقة فان هناك أجهزة الكترونية وميكانيكية خاصة تثبت على سطوحها ، كما أن ثمة أجهزة دقيقة لقياس معدل الضغط العالي والضغط المنخفض تركب على المضخات الخاصة بضخ الزيت . هذا فضلا عن الصمامات التي تغلق تلقائيا . ولحماية هذه الأنابيب من التآكل فانها تطلى بطبقة واقية من الدهان الخاص ، كما تخضع للطرق التقليدية المتبعة في وقاية المنشآت البحرية وأهمها طريقة « الوقاية الكاثودية – Cathodic Protection » . ومن قبيل الاحتياطات الأخرى التي تتخذ مراعاة لسلامة خطوط الجريان هذه ، أنه يجري فحصها مدة ٢٤ ساعة كحد أدنى تحت ضغط الماء بحيث تتعرض لضغط يزيد بمقدار مرة ونصف المرة على معدل الضغط المقرر لتدفق الزيت ، وذلك لتبيان مدى الضغط الذي تتحمله أنابيب الجريان.

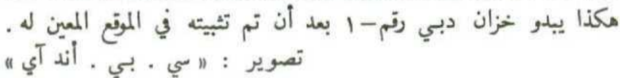
الشحن والتخزين

هنالك طريقتان لتخزين وتحميل الزيت المستخرج من الحقول المغمورة في المياه العميقة والتي يتم انجاز آبارها تحت سطح الماء ، فاما أن يتدفق الزيت بعد عمليات الفرز في خطوط الأنابيب الى الفرضة البحرية « Terminal » الواقعة على الشاطىء للمعالجة والتخزين ثم التحميل



قدما وفي نقطة ثابتة تبعد حوالي ٥٨ ميلا عن شاطئ دبي .



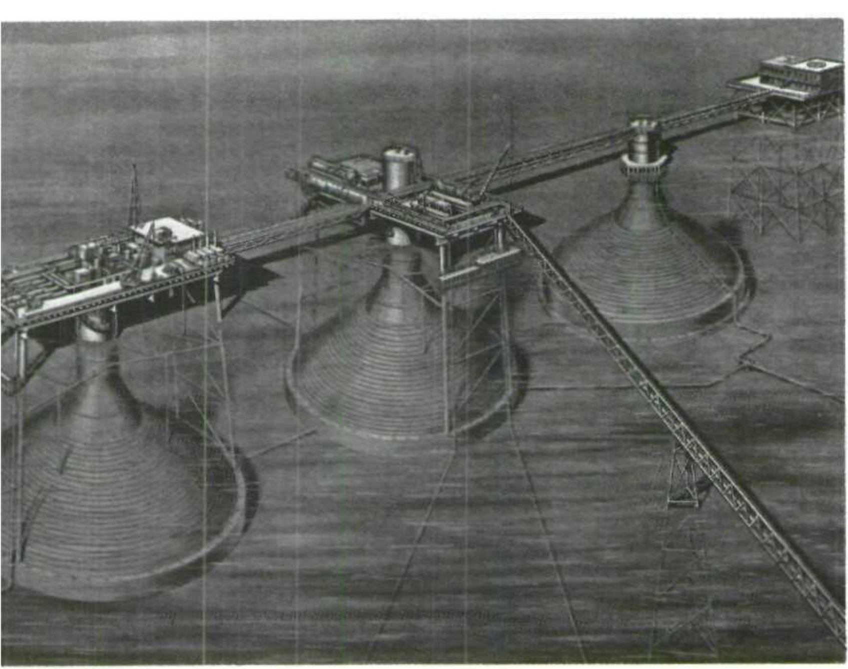


هكذا يبدو خزان دبي رقم-١ بعد أن تم تثبيته في الموقع المعين له .
تصوير : « سي . بي . أند آي »

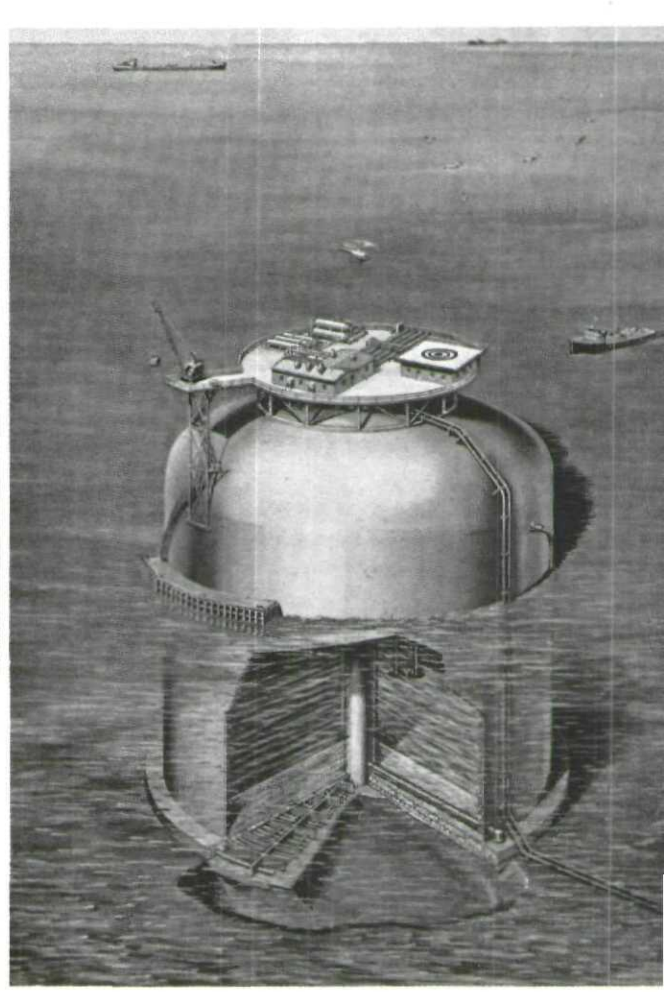
والشحن ، واما أن يتدفق مباشرة الى الناقلات الراسية في وسط البحر عبر « نقطة تحميل ثابتة — Single Point Mooring » بعيدة عن الشاطىء ، ويكون موقع نقطة التحميل هذه عادة ضمن حدود المياه الاقليمية . غير أن العاملين في صناعة الزيت يفضلون أن يكون موقع مركز التخزين والتحميل على الشاطئ على أن يكون في المناطق المغمورة وذلك لأسباب بيئية وعملية ، وقد يكون مركز التخزين والشحن البحري أفضل الاحتمالات من الناحية الاقتصادية وغير ذلك . وعلى أي حال فان المهندسين المختصين العاملين يقومون بدراسة تفصيلية لجميع الظروف والاعتبارات الفنية مع اجراء تحليلات حسابية دقيقة للتكاليف المترتبة على التصاميم وعمليات التشغيل ، وذلك حتى يتسنى لهم اختيار أفضل الطرق الملائمة لتنفيذ مثل هذا المشروع .

ان كميات الزيت المستخرجة من الآبار المغمورة تحت سطح الماء ، تتدفق الى « مجمع — Manifold » يوجد على منصة الانتاج ثم تنتقل الى معمل فرز الغاز من الزيت الموجود كذلك تحت سطح الماء والمقام على سطح قعر البحر . ويمكن التحكم في درجة حرارة الزيت الخارج من « وعاء الفرز — Separator » بحيث ترتفع حرارته في « المبدّل الحراري — Heat Exchanger » ، وهذه العملية تعطي نتائج مرضية تساعد في الحصول على نسبة عالية من الأبخرة البترولية وذلك لدى معالجة الزيت في مرافق معامل التكرير . أما المضخات الضخمة فمهمتها دفع الزيت في خطوط الأنابيب المغمورة من منصة الانتاج التي تشمل أوعية فرز الغاز من الزيت والخزانات الى فرضة التحميل والشحن لتصديره الى أسواق العالم . فقد يدفع الزيت من منصة الانتاج المغمورة تحت الماء عبر خطوط للأنابيب الى الخزانات الواقعة في مركز الشحن والتخزين على اليابسة ، وهذه الخزانات ذات « سطوح غير ثابتة — Floating-Roofs » ، كما يمكن تجميع الغاز من مختلف الأوعية والخزانات بواسطة « وحدة استخلاص الأبخرة — Vapour Recovery Unit » . وكما أشرنا آنفا الى أنه بفضل التحكم في درجات حرارة الزيت المتدفق يمكن الحصول على أكبر كمية ممكنة من الأبخرة الهيدروكربونية ، الأمر الذي يجعل بالامكان الاستفادة من جميع منتجات الزيت .

هذا وقد تستعمل نقطة التحميل الثابتة في عرض البحر كمركز لشحن الزيت المنتج من المناطق المغمورة العميقة المياه ، حيث يجري نقل الزيت عبر خطوط للجريان ترتفع الى نقطة قريبة من سطح الماء ثم تمد خراطيم قوية تتحمل الظروف المحيطة بها ، الى المراكب والسفن والناقلات لتعبئتها . وفي كثير من الأحيان تستعمل الناقلات أو السفن كخزانات عائمة للزيت الى أن يحين وقت شحن هذه الكميات المخزونة الى أجزاء المعمورة لمد الانسان بحاجته من الطاقة .



مجموعة من الخزانات المستخدمة في تخزين الزيت المستخرج من الحقول المغمورة في المياه العميقة والتي تم تثبيتها في قاع البحر .



أحد خزانات الزيت المثبتة في قاع البحر تعلوه مجموعة من الأجهزة الخاصة بالانتاج .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المضمار أنه تم منذ حوالي ثلاث سنوات انزال « خزان البترول رقم-١ » في المنطقة المغمورة التابعة لأمارة دبي في الخليج العربي ، تقدر سعتـه بحوالي نصف مليون برميل ، وقد كان في ذلك الحين يعتبر أكبر خزان مغمور تحت سطح الماء في العالم كله .

وقد تم تغطيس هذا الخزان في مياه الخليج العربي في نقطة تبعد حوالي ٥٨ ميلا عن شاطئ دبي في مياه يبلغ عمقها ١٥٥ قدما ، وذلك لاستخدامه في تخزين وتحميل الزيت من حقل « فاتح » . ويشبه هذا الخزان الزجاجة الكبيرة في شكلها ، وهو عبارة عن وعاء كبير مصنوع من الصلب يبلغ ارتفاعه حوالي ٢٠٥ أقدام ، وقطره حوالي ٢٧٠ قدما ، ووزنه خمسة عشر طنا . وهذا الخزان لا قاع له ، اذ يعمل على أساس نظرية الوزن النوعي والكثافة ، حيث يطفو الزيت على سطح الماء . فعندما يتدفق الزيت الى الجزء العلوي من الخزان يخرج الماء من الجزء القبوي السفلي مـن خلال ثقوب تنتشر في محيط القاعدة ، وطبعا تتم العملية العكسية حينما يتم ضخ الزيت من الخزان الى الناقلات حيث يندفع الماء وراء الزيت وهكذا دواليك .

لقد كان تنزيل « الخزان رقم — ١ » في المياه العميقة حدثا جديدا في مجال تخزين الزيت تحت سطح الماء ، كما أن هذه العملية أصبحت من الوسائل المجدية لانتاج الزيت وتخزينه في نقطة تبعد مسافة كبيرة عن الشاطئ . هذا وقد تم بناء الخزان الثاني كما أن العمل مستمر في بناء الخزان الثالث .

أما عملية بناء هذه الخزانات فتتم في حفرة كبيرة حيث يمكن تعويم الخزان بداخلها ثم يتم انزاله الى مياه الخليج بمساعدة قارب جر كبير . وتتم عملية تغطيس الخزان في الموقع المقرر له باخراج الهواء من داخله واحلال الماء محله . وتستعمل هذه الخزانات للتخزين ، وكمنشآت مساعدة لمنصات الانتاج البحرية .

وبعد الانتهاء من بناء الخزانات جميعا يتم توصيلها بمجمع واحد للانتاج ، حيث يمكن بذلك تحويل الانتاج أو الضخ الى واحد أو أكثر من الخزانات . ومن ناحية أخرى ، يصبح في الامكان ضخ الزيت من الخزان الى الناقلات مباشرة أو دفـع الزيت من مرافق تجميعه الى الخزان .

وهذه الخزانات ستكون مستقلة تماما عن منشآت الزيت المقامة على اليابسة . لذلك يمكن معالجة الزيت وتخزينه وتحميله وشحنه على الناقلات من مرافق الانتاج نفسها التابعة للحقل في المنطقة المغمورة بالماء ، وهذا ما يدعو الى عدم الحاجة الى استعمال منشآت الموانىء وفرض الشحن أو التحميل ، أو خطوط الأنابيب الممتدة تحت سطح الماء والتي قد يبلغ طولها عشرات الأميال لتنقل الزيت من آباره الى مراكز الشحن ، وهذا ما يساعد على التوفير في نفقات الانتاج ■

فتحي أحمد يحيى — الظهران

المؤثرات في تكوين الشاعر

الأصل - البيئة - الثقافة

بقلم الاستاذ احمد الجندي

الشاعر انسان ذو موهبة ، والموهبة عطاء يعطيه الخالق جل وعلا ، فيهبّ فيه فكرا لماحا واحساسا مرهفا ونظرة تفهم من المنظورات غير ما يفهمه الانسان العادي المجرد من الموهبة الشعرية الفنية ، والشعر هو التعبير الرائع عن الاحساس بما في الحياة من خير أو حق أو جمال وعن كل ما تقع عليه عين الشاعر .

ولا بد من وجود هذه الموهبة عند الشاعر ليكون شاعرا صحيحا ، وقد تكون هذه المنحة الالهية كبيرة ، فيكون الشاعر عبقريا فذا وقد تكون مختصرة صغيرة فيكون شاعرا بسيطا أو لا يكون شاعرا أبدا :

الشعراء فاعلمنّ أربعة
فشاعر يجري ولا يُجرى معه
وشاعر يضرب وسط المعمعة
وشاعر لا تشتهي أن تسمعه
وشاعر لا تستحي أن تصفعه

ولقد أحسن هذا الناقد الشاعر في هذا الجدول الشعري الذي صنف فيه الشعراء وأجاد اجادة بارعة ذكية ، فالرجل اما شاعر كبير ، أو شاعر عادي ، أو شاعر موفق ، أو شاعر ليس بشاعر . وقد يلازم الشعراء طبائع خاصة بهم تجعل منهم أشخاصا شاذين أحيانا ومعتدلين أحيانا أخرى ، فقد يكون أحدهم ضيق الصدر بالناس لا يستطيع احتمالهم كابن الرومي ، وقد يكون منصرف الفكر الى ناحية بعيدة عن امكانه كالمتنبي الذي ظل حياته يسعى الى الأمرة والملك حتى قتل في سبيل مسعاه ، ولن تجد شاعرا موهوبا خاليا من هذه الصفة التي تجعل بينه وبين الناس بعدا قد يكون كبيرا أو صغيرا .

والشاعر الموهوب قد لا يستطيع عمل شيء غير النظم وقد يجور به قصده عن جادة الصواب فينحرف الى هدف آخر كما فعل المتنبي ، أو قد يرى في فنه ما يسيء الى شخصه فيهرب من واقعه ويحاول اخفاء موهبته أو يتبرأ منها ازدراء لها ، ولكنه لايصل الى غايته ، بل يظل مقصرا متأخرا حتى اذا ضاق صدره وثار حنقه رجع الى طبيعة الشاعر فاستملاها لينطق بأعذب الألفاظ وأطرب الألحان ولقد برم المتنبي بشعره فصاح مقهورا :

الى كم ذا التمادي في التمادي
وبيع الشعر في سوق الكساد

وذهب يشرق ويغرب ، فلما وجد الملك صعب المرتقى وأنه غير جدير بالملك وأنه لا يستطيع مجاراة ملوك زمانه بما كانوا عليه من صفات كان المتنبي يحتقرها ، لما رأى هذه النتيجة الحزينة عاد الى شعره يقول مفتخرا متغنيا بالحانه :

أنا الذي نظر الأعمى الى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم

ولكن الشاعر الذي يولد شاعرا لا يظل كما ولد ، ولا يبقى على طبيعته الأولى ، فهو بطبيعته الشاعرة معرض للمؤثرات المختلفة التي تزيد من شاعريته أو تنقص ، والتي تلون احساسه بحسب وجوده وأصله وبيئته وقراءاته وحوادث الدهر الأخرى التي تمر به ، انه كالشجرة التي تهزها الرياح تميل ذات اليمين وذات الشمال وهي في كل الأحوال تؤتي أكلها وتعطي ثمرها غضا يانعا .

ويبدو الشاعر في كثير من أحواله متناقض الرأي مرتبك الذهن ، يقول شيئا ، ثم يعدل عنه الى عكسه دون أن يحاسب نفسه على شيء من هذا ، ومن هنا فان الشعراء لم ينجحوا في السياسة ولم يصنعوا فيها شيئا يذكر ، ونحن نذكر الكثير منهم ، وكلهم قد أوحوا لنا بقصر باعهم في هذا المضمار ، كما فعل « لامارتين » حين أراد أن يكون سياسيا ، وكما فعل « غوته » حين أراد أن يصبح في الدولة شيئا مذكورا ، وكذلك حين تحكك « شوقي » بالقصر وملابساته . لقد أخفق هؤلاء الشعراء لأنهم سريعو التأثر بكل ما يمر

بهم ، وتأثرهم هذا يخلق عندهم الأفكار بحسب هذه المؤثرات التي كثيرا ما تكون متضاربة متعاكسة .

وهذه طبيعة خاصة تجعل من الشاعر شخصا مترددا لا يقر له قرار ، وتبعد به عن العمل السياسي الذي يتطلب طبيعة حادة وفكرا يصمد للأحداث فلا تهزه ولا تغير منه شيئا .

اذن فالشاعر الصحيح هو ابن الموهبة أولا وابن المؤثرات الفعالة ثانيا ، وهذان العنصران هما اللذان يكونان الشاعر .

ولكن ما هي المؤثرات التي تؤثر في الشاعر أو بعبارة أجدى ، ما هي أهم المؤثرات فيه : لقد اختلف النقاد في تحديد هذه المؤثرات ولكن الدراسات المتعاقبة جعلتها ثلاثة : مؤثرات مهمة هي : الأصل الذي ينتقل بالوراثة، والبيئة التي يحيا فيها الشاعر ، والثقافة التي يغذي بها موهبته ويثقف من فكره وذهنه .

أما الأصل فهو يتعلق بالوراثة التي يتأثر بها الانسان من أبويه وأجداده القرباء والبعداء ، وربما تأثر الانسان بنوع من الوراثة يسمونه الرجوع الى الوراء ، وبه تنتقل للانسان صفة أو حالة أو مرض كان في أحد أجداده منذ مئات السنين . وقد تحدث بعض العلماء في الأثر الكبير لهذا الميراث مستندين في ذلك الى القول بأن الجسم كله يشترك في تكوين الانسان حين يكون جنينا ، فهو صورة مصغرة لما كان عليه أبواه في الهيئة والطبيعة والعقل .

ولو سلمنا بأن الكثيرين من المواليد يحتفظون بآثار كثيرة من آبائهم في الشكل والصوت والهيئة ، فانا لا نسلم بأن المولود يحمل العقلية أو الفكر الذي كان يملكه أبواه ، وخاصة في الصفات الفنية التي نحن بصددها من مثل الشعر والرسم أو غير تلك من الصفات ، ولم نسمع بشاعر خلف شاعرا مثله الا في القليل النادر الذي لا حكم له . ولو استعرضنا تاريخ الشعر العربي لما وجدنا مثلا واحدا يصدق معه القول بأن فلانا شاعرا لأن أباه كان شاعرا ، وهذا تمام بن أبي تمام قد نظم ثلاثة أبيات من الشعر ثم قيل له حسبك يا فلان ، فسكت غير آسف ولا نادم ، والأمثال على هذا كثيرة في كل الآداب . هذه ناحية من الوراثة لم تثبت علميا لدينا أبدا ، وأبعد من هذا وقوعا وراثة الصفات ، فليس من الواقع الصحيح أن يرث المرء بخل أبيه أو كرمه أو شجاعته أو جبنه ، بل عكس ذلك نجد أن الآباء والأبناء متناقضون متخالفون في هذه الصفات ، ولقد أشار العرب الى هذا بعبارة تعطي كل ما نريد لتثبت من فكرة نفي الوراثة في الصفات فقالوا : ولد النجيب لا ينجب . وقد أطلقوها وكأنها قاعدة تؤكد أن الصفات لا يمكن أن تورث . فالصفات التي نراها عند بعض الشعراء لا يمكن أن تعزى الى الآباء والأجداد بل هي آتية في رأي التجربة والواقع عن طريق الخلقة التي تنتج ثمارها دون قيد سابق ، أو شرط متقدم ، والطبيعة كما لا يخفى مولعة بمخالفة القواعد ، ولذلك فان من العسير أن تجعل للحوادث قاعدة عامة ، بل ان القاعدة لا يمكن أن تشمل الا عددا من هذه الحوادث لا كلها وهذا هو رأي المناطقة التطبيقيين ، أصحاب البرهان والتجربة والقوانين .

وعلى هذا الأساس فنحن ندحض دحضا مؤكدا قول العقاد ومن سايره في رأيه ان ابن الرومي قد أخذ عبقريته في التصوير الشعري عن أجداده اليونان لأن هذا القول مخالف للطبيعة وللواقع ، ولو وافقنا العقاد على قوله ، فما عسانا أن نقول في شوقي الذي اشترك في أصله أربعة أو خمسة من العروق ، وهل يمكن أن نعزو ما رأينا عند الشعراء العباسيين من تنوع في شعرهم واختلاف في أساليبهم الى أصولهم الفارسية أو الديلمية أو الكردية أو التركية أو ما شاكل هذه الأصول المتضاربة المتنوعة . ولم لا نريح أنفسنا ونريح العلم فنقول : بأن ابن الرومي قد ولد على صفة خاصة ، وان موهبته كانت في هذا التصوير البارع الذي لم يرثه وراثة ولا تأثر فيه بشيء ، وانما وجد عنده وجودا وخلق خلقا لا شأن لمؤثر فيه الا المصادفة والواقع . وهل يمكن أن تكون ملكة التصوير وقفا على اليونان أو غيرهم من الأمم ولم لا نقول بأن الانسان واحد في كل الأمم وانما الذي يختلف بين انسان وآخر هو البيئة والتربية والدراسة والمرض والصحة الى آخر هذه المؤثرات التي قد تخلق المرء خلقا جديدا يبعد به عن نشأته الأولى .

إن ابن الرومي لم يعش بين اليونان ولم تنقل الروايات لنا شيئا يؤكد معرفته للغة اليونانية ، فكيف جاز لنا أن نهمل التربية والبيئة وغيرها من المؤثرات المهمة لنعزو تصويره الى روميته التي انقطعت بينها وبينه كل صلة ابان حياته وحياة أبيه العباس بن جورجيوس . ولم لم نعز الى أبي تمام صفة من الصفات الشعرية كما صنعنا بابن الرومي مع أن نسب أبي تمام رومي كما يقال وان جده يدعى (تدوس) وهو محرف عن (تيودوسيوس) الاسم اليوناني أو البيزنطي المعروف. لقد سكت النقاد قديما وحديثا عن تأثر الشعراء العرب بأصولهم القديمة ، وجلهم قد كان من أصل غير عربي وخاصة في العصر العباسي فلم يضع أحد من هؤلاء النقاد صفة خاصة لشاعر ولم يتعرض أحد منهم لهذه الفكرة الا عند ابن الرومي ، ولعل هذا التمييز والتوزيع قد كان من نحس الشاعر الذي حمل النحس على كتفيه كل حياته فلم يسلم منه حتى في ميراثه ليظل مفردا في عبقريته مفردا في تاريخه .

أما البيئة فثابت أثرها في الشاعر ولكننا لا نشتط فنعزو للبيئة كل شيء ، اننا نصر على الاحتفاظ بحق الفطرة أو الخلقة التي أوجدتها الطبيعة فهو الحق الأول ، وما عداه فروع ، ولكن البيئة تقوم من الطبيعة وتهذب منها وتعدل فيها وقد عرف الفلاسفة العرب وغيرهم من فلاسفة

الفرنجة للبيئة والتربية أثرهما في الطبيعة والموروثات. وها هو الغزالي يقول : ان الأخلاق تكون تارة بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة ومشاهدة أرباب الفعال الحميدة ومصاحبتهم ، اذ الطبع يسرق من الطبع الخير والشر جميعا .

لقد تأثر ابن الرومي بالحياة التي عاشها والشاعر كما هو مقبول ومعروف مرآة تنطبع عليها المؤثرات التي تمر بها والمشاهد التي تعرض لها ، فنفسه اذا وليدة هذه المرائي والمشاهد التي تترك كلها أثرا في نفسه. الا ترى ابن الرومي كيف وصف كل شيء شاهده في حياته ، بائع الزلابية ، والوجوه المختلفة الشاذة ، والجمال الرائع الأخاذ ، والطبيعة المحببة التي كانت تزين له (بعد حياء وخفر) كما يقول ، ان هذه المناظر كانت تدفع ابن الرومي الى القول والنظم والغناء . ولو كان لأصله التأثير الذي أراد العقاد تأكيده لوجدنا لكل شاعر من مختلفي الأصول أثرا من أصله يؤثر فيه ويحور أو يبدل في شعره وشاعريته ، ولرأينا أبا نواس ينظم على الطريقة الفارسية ولوجدنا أبا تمام ينظم على الطريقة الرومية وهكذا دواليك مما لا ينتهي الى واقع معقول .

ان البيئة التي يحيا فيها الشاعر هي صاحبة الأثر الأول في حياته ،ما دام الشاعر انسانا مجلو النفس تتراءى في نفسه كل المشاهد والمناظر ، ولو عاش ابن الرومي في « باريس » لتغير شعره ، ولو انتقل الى أمريكا لكان التغيير أعمق وأبعد أثرا.

أما المؤثر الآخر الذي يبدل ويغير من شعر الشاعر فهو الثقافة والقراءة والحفظ ، أي الأفكار والآراء التي يعيشها الانسان ، فالأديب حين يقرأ لشاعر يتأثر به ويقلده دون وعي وبطريق اللاشعور الذي يعتمده الفلاسفة ويرون فيه مخزنا كبيرا للاحاسيس والنزوات .

ولعل القراءات الأولى هي صاحبة الأثر البارز في حياة الشاعر ، والطبيعة هي التي تسوقه الى المطالعة والقراءة فينصرف بطبيعته الى قراءة الشعر عن هوى فطري ، ويحفظ منه الشيء الكثير دون تعمد أو قصد ويباشر النظم عن دافع فطري يهيئه لذلك وربما بدأ النظم مرتجلا بعض الجمل الموزونة وربما تحدث ببعض العبارات المسجوعة الشبيهة بالشعر ، وعندها يدرك أنه شاعر فيباشر النظم ، ولا بد أن يكون نظمه الأول بدائيا تقليديا ، وسرعان ما يعرف الشاعر الذي يحتذيه أو يقلده ، ويظل كذلك مقلدا حتى تتكون شاعريته وتنضج شخصيته فيستقل عن كل ما عداه ويبدو شاعرا ذا طابع خاص يعرف به بين الشعراء . ولكن هذا لا يعني أنه يصبح معزولا عن المؤثرات اللاحقة والسابقة كلا ، فان الشاعر مهما عظم أو كبر لا بد أن ترى في آثاره آثارا لغيره ، ولعلك تجد أثر أبي تمام في شعر البحتري ، وربما وجدت أثر البحتري أو أبي تمام في شعر المتنبي ، وهذا أبو العلاء المعري العالم الزاهد الشاعر الفيلسوف لقد جاء في شعره الكثير مما يحمل طابع المتنبي . وأول شاهد على ذلك قصيدته الشهيرة في ديوانه « سقط الزند » ومطلعها :

الا في سبيل المجد ما أنا فاعل
عفاف واقدام وحزم ونائـــل

فهي أشبه بشعر المتنبي منها بشعر أبي العلاء .

مما تقدم يتضح أن الشاعر مرتبط بالشاعرية التي تولد حين ولادته ، وأعني بذلك الطبع الشاعر ، فهو أول مؤثر يقود صاحبه الى حيث يريد ، ثم يتعرض الشاعر ، كانسان متأثر ، الى ما حوله من زمان ومكان وثقافة فيتشكل شعره شيئا فشيئا وتتكشف قريحته ، وتتعرض هذه القريحة للتقويم والاعوجاج والتثقيف والانحراف تبعا لما يلقاه في عيشه ، ولكن هذه المؤثرات لا تتعدى في عملها مظهرا لشاعر ولا يزيد أثرها على المساس السطحي . أما الذي يبقى أساسا للشاعر فهو الفطرة التي جعلت منه شاعرا بدل أن يكون مؤرخا أو مهندسا أو طبيبا .

ولو شئنا أن نبين أي هذه المؤثرات أقوى لقلنا أنها البيئة التي يبلغ أثرها حد التغيير والتبديل ، فالشاعر العربي الأصيل اذا عاش في فرنسا أو انكلترا فلا بد أن يتأثر بهذه البلاد تأثرا واضحا في شعره . وقد رأينا كيف تأثر شوقي بحياة القصور أيام الخديوي اسماعيل وعباس فبدت على شعره نغمة القصور ودلال المقاصير ، ثم رأيناه حين ذهب الى الأندلس كيف تأثر بهذه البلاد فوصفها ووصف مأساة العرب فيها ، فكان شعره في المنفى يحمل الطابع الأندلسي وكأنه معاصر لابن الخطيب وابن زيدون .

وهذا الشاعر الفرنسي « الكونت ده ليل » لقد عاش في جزر « المارتنيك » فخرج شعره ، رغم قوته ورصانته متأثرا بالصحراء اللاهبة والشمس الساطعة ومناظر الوحوش السارحة ، ولو قرأت ديوانه « قصائد بربرية » لاستغربت ما فيه من لوحات صحراوية تأخذ الفكر والنفس بجمالها وروعتها ، وخاصة في قصيدتيه « الفيلة » و « الظهيرة » وما فيهما من وصف للصحراء والحيوانات ومناظر تلك البلاد الاستوائية العجيبة . فلما انتقل الى فرنسا ليستقر أحس بوقع الشتاء والبرد القارس والريح الباردة العنيفة وهي تضرب الأشجار فتكسر الغصون والجذوع ، ولو قرأت قصيدته « ريح الليل الباردة » لاستمتعت بهذه الأوصاف التي أملتها على الشاعر بيئته الجديدة الباردة .

ان صفات الشاعرية الدقيقة لا تنتقل بالوراثة لأن الواقع يخالف ذلك ، وان الشاعر مرآة صافية دقيقة تظهر فيها المرئيات والمنظورات فتترك آثارها منطبعة عليها ، لذلك فانه يتأثر دائما بقراءاته وبيئته وحياته ، وهذه المؤثرات مجتمعة ، مضافة الى فطرته الأصيلة الصادقة ، هي التي تكوّن الشاعر ■

أحمد الجندي – دمشق

مجمع اللغة العربية

رسالة علم وعرفان

في حوالي شهر فبراير من كل عام يعقد مجمع اللغة العربية دورته السنوية المعتادة ، وقد عقد في هذه السنة دورته التاسعة والثلاثين ودعا اليها – كعادته في كل الدورات السنوية – اعضاءه العرب الذين يمثلون جميع البلاد العربية . ولقد تناول المؤتمر أبحاثا جادة عميقة تناولت مختلف العلوم والفنون ، ونظر في مصطلحات علمية مختلفة زادت في ثروة اللغة العربية في هذا المجال ، فقد أقر المؤتمر مصطلحات في الكيمياء ، والطبيعة ، والجيولوجيا والطب ، والرياضة ، والفلسفة ، والجغرافيا ، والتاريخ الحديث ، والحضارة القديمة والوسطى ، وفي ألفاظ مستحدثة تطلبتها الحضارة المعاصرة .

فما هو مجمع اللغة العربية ، وما هي رسالته ؟ وما مدى تحقيقه لأغراض انشائه ؟

اننا أمام الصورة الباهته التي ترتسم في ذهن أغلب المثقفين عن المجمع ، وأمام الدعايات غير المستملحة التي يرددها بعض الناس عنه ، رأينا من واجبنا اعطاء فكرة عن مجمع اللغة العربية في القاهرة .

صدر المرسوم الخاص بانشاء مجمع اللغة العربية في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ ، وباشر مهام عمله في نهاية يناير من سنة ١٩٣٤ (١) ، فكان ذلك اليوم بمثابة منطلق الشرارة الأولى في نور المعرفة التي تعاون في نشرها أعضاء المجمع جميعا من عرب ومستعربين ، مما كان له أكبر الأثر في نشاطه الجم وجهده الصادق . ومضى المجمع في ركب المعرفة ما لا يزيد على ست سنوات قبل أن تعلن الحرب العالمية الثانية التي وقفت حائلا دون سير هذا التعاون على النحو المطلوب . وما أن عم السلام حتى بدأ المجمع في لم الشمل والاتصال بأعضائه في الخارج ، وأعاد النظر في خطته وسار في طريق النور يبدد الظلمة ويمحو الجهل ويقوم اللسان .

وقد حدد مرسوم انشاء المجمع أغراضه ، ووضح سبل تنفيذها ، وكيفية سير العمل فيه ، ورسم معالم شخصيته المعنوية ، ومن بين الأغراض التي نص عليها المجمع « أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة للحاضر » . ووسيلته الى ذلك تنحصر في : تبيين ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب ، وبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة ، وتتبع تاريخ بعض الكلمات وتغيير مدلولاتها ، وتحقيق النصوص القديمة المتصلة باللغة وفقهها ، ووضع معاجم لغوية ، ثم اصدار مجلة تنشر أبحاثه وقوائم الألفاظ والتراكيب التي يقرها ، وتفسح المجال لمناقشات الجمهور واقتراحاته .

ومن هذا يظهر أن انتاج المجمع هو : تيسير اللغة متنا وقواعد وكتابة ورسم حروف ، وتوفير المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية بحيث تصبح اللغة وافية بمطالب العلوم والفنون ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر ، وتهذيب المعجمات اللغوية ، ووضع معجم تاريخي شامل يعرض لتطور اللغة العربية في عصورها المختلفة ، وتشجيع الانتاج الأدبي ، واحياء التراث القديم في اللغة والأدب .

وقد أنتج المجمع في هذه الأبواب جميعا ، وان سار انتاجه في أناة وروية ، وهذا شأن العلماء المتثبتين الذين يعنون بالكيف ويحرصون على التجويد ، وعلى صقل العمل العلمي وتهذيبه . ففي متن اللغة مثلا ، وضع المجمع أمامه مشكلاته وواجهها في مجلسه ومؤتمره وفي لجانه وعلى أيدي خبرائه ، وأعد في ذلك بحوثا ودراسات ، فعرض لمتن اللغة في أصله ونشأته ، وتناول نموه وتطوره وعالج ركوده وجموده ، وجد في البحث عن وسائل تغذيته ، ووضع في ذلك طائفة من القواعد والمبادىء ، واتخذ قرارات تعد ثروة علمية قيمة . وقد أخرج منها طائفة كبيرة في كتابين هما « مجموعة القرارات العلمية » وهو الجزء الثالث من مجموعة صدرت باسم مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما ، وقد اشتمل على القرارات التي صدرت من الدورة الأولى الى الدورة الثامنة والعشرين ، ويقع في أكثر من مائتي صفحة و « كتاب في أصول اللغة » ، وقد اشتمل على القرارات التي صدرت من الدورة التاسعة والعشرين الى الدورة الرابعة والثلاثين في اللغة العامة وفي الألفاظ والأساليب ، ويقع في أكثر من ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير .

والمجمع اللغوي لم يبتدع في هذه القرارات قواعد جديدة ، ولم يخرج بها عن طبيعة اللغة العربية ونظامها الموروث ، بل كانت وجهته الاجتهاد في تفسير ظواهر اللغة ، على أساس من الآراء والنظريات التي خلفها علماء ومؤلفون لهم مكانهم في التراث العلمي العربي . فهي في مجموعها صدى للحركة المستمرة التي يقوم بها المجمع في تطوير اللغة وتنميتها وتطويعها لمطالب الحياة العلمية والثقافية الحديثة . وهذه القرارات التي صدرت ، والتي لم تنشر بعد ، كانت نتيجة لدراسات شاقة في اللغة طال فيها

(١) كتاب الدكتور مدكور : « مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما ، ماضيه وحاضره »

بقلم الاستاذ سعيد زايد

الأخذ والرد ، فقد درست في اللجان ، ونوقشت في مجلس المجمع ومؤتمره ، واستشهد لها ، واعترض عليها ، ومن بينها ما أعيد النظر فيه وعدل . على أن باب الاجتهاد لم يفتح على مصراعيه : فللغة أصول ومعالم لا ينبغي أن تمس . وهناك مشاكل لغوية آثر المجمع التريث فيها رغم اثارتها غير مرة ، مثل أبواب الثلاثي ومصادره .

وعني المجمع بدراسة اللهجات ، فمن أغراضه : « أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية » ولقد كان بعض أعضائه القدامى علماء في اللهجات ، وهم الأساتذة الراحلون « كارل ألفونس نللينو » ، و « انوليتمان » ، و « عيسى اسكندر المعلوف » ، وهم الذين رسموا له خطة دراسة اللهجات وبينوا مزاياها . وقد شكلت للهجات لجنة خاصة منذ الدورة الأولى للمجمع ، أسهم فيها كبار اللغويين وعلماء الأصوات من أعضاء المجمع وخبرائه ، كما ألقيت في مجلس المجمع ومؤتمره بحوث في أصول اللهجات وتطورها ونشرت في مجلته مقالات تناولت كثيرا من مشاكل اللهجات . ولم يكتف المجمع بتنظيم دراسة علمية في اللهجات العربية الحديثة ، بل امتد بحثه الى اللهجات القديمة ، فوضع نظاما لدراسة الأصوات واللهجات العربية وكيفية تسجيلها ، ورسم طريقة لكتابة نصوص اللهجات بحروف عربية ، ودعا الى وضع الأطالس اللغوية وقدم نماذج منها . وعرض للهجات عربية شمالية سابقة على الاسلام ، وللصلة بين العربية الفصحى ولغة حمورابي وبين المصرية القديمة واللغات السامية . واستوقفه غير مرة تباين اللهجات وتبلبلها ، وسعى الى التقريب بينها ومحاولة توحيد النطق بالحروف الهجائية العربية الحديثة كأصول اللهجة العراقية والشعر العامي في نجد ، وعامية لبنان وسورية ، والأصول العربية لبعض اللهجات السودانية ، وأثر البربرية في عربية المغرب ، وعني باللهجة المصرية ، فبين تاريخها والعوامل التي أثرت فيها وما سرى اليها من ألفاظ فارسية وتركية والصلة بينها وبين الفصحى . وقد ظهرت من بحوث المجمع في هذا المجال بعض الحقائق المهمة في ميدان اللهجات ، منها أن الكثرة العظمى من ألفاظ العامية المصرية عربية الأصل ، وان من اليسير ردها الى أصولها بحيث يمكن الاستفادة منها في مستحدثات العلم والحضارة . وهناك ألفاظ عامية شائعة في الأقطار العربية جميعها جديرة بالأخذ والتسجيل .

وقد عني المجمع ايما عناية بالمصطلحات العلمية ، عني بها أول الأمر وحده قبل أن تنشط حركة التأليف العلمي ، واضطلع بالعبء وأعد له العدة من محررين وخبراء ومعاجم خاصة ودوائر معارف . وكون لجانا مختلفة أصبحت الآن مستوعبة لكل فنون المعرفة ، فهناك لجان العلوم مثل : الطب ، والاحياء ، والزراعة ، والكيمياء ، والصيدلة ، والطبيعة ، والجيولوجيا . وهناك لجان الرياضة ، وهناك لجان العلوم الانسانية ، مثل لجنة : العلوم الفلسفية ، والاجتماعية ، والجغرافيا ، والحضارة القديمة والوسطى ، والتاريخ الحديث ، والتربية وعلم النفس ، واللهجات ، وألفاظ الحضارة الحديثة ، والأدب ، والأصول ، والألفاظ والأساليب ، وتيسير الكتابة . وتنشر المصطلحات العلمية في كتاب المجمع السنوي الخاص بالمصطلحات ، وهو « مجموعة المصطلحات العلمية والفنية » التي صدر منها الى الآن ثلاثة عشر مجلدا ، ويحرص المجمع على أن يتأنى في الدرس والمراجعة ولا يتردد في أن يعيد النظر في مصطلحاته ان دعا الأمر ، ويقف عليها في اختصار جل وقته ، وفي تكوينه واشتماله على صفوة من أدباء العرب وعلمائهم ما مكنه من أن يحكم ويقرر باسم العربية جمعاء . وبذا أضحى المجمع اللغوي حجة في المصطلح العربي ، يستشار في أمره ، ويحتج برأيه . كما تقوم الى جانبه هيئات علمية تعاونه معاونة صادقة .

لقد تردد المجمع زمنا في المنهج المطلوب لوضع المصطلحات واقرارها ، أيخترع أم يسجل ؟ أيعرب أم يحيي الألفاظ القديمة ؟ أيقبل العامية أم يأخذ من الفصحى وحدها ؟ أيسلم بالنحت أم يرفضه ؟ وقد استطاع أخيرا أن يلائم بين هذا كله ، فهو يؤمن أن مهمته الأولى أن يسجل ما اصطلح عليه المختصون ما دام لا يتعارض مع أصول اللغة . وقد دعا ولا يزال يدعو الى جمع المصطلحات العربية القديمة ، وشجع عليها بجوائز خاصة . ولكنه يرى أن هذه المصطلحات أصبحت لا تفي بالحاجة ، وأن البحث العلمي الحديث في تنوعه وتشعبه بات يتطلب وسائل أوسع وأنجع ، ومن بينها أن يعرب كما عرب العرب قديما ، وان ينحت أيضا ، فان أنكر النحت علماء فقد نصره آخرون ويميل المجمع الى أن يتخفف منه ، لأنه قد يؤدي الى تكوين ألفاظ أشد غرابة من الألفاظ المعربة . وعلى كل حال ، فان المجمع لم يخرج في صوغ



المصطلح العلمي عن وسائل الوضع اللغوي المألوفة ، فأجاز الاشتقاق من أسماء الأعيان والجواهر ، وترخص في أمر تلك القاعدة المشهورة من أنه « لا يشتق من الجامد » ، ولم يخرج في هذه الرخصة عن الف العرب واستعمالهم ، فيقال : مكهرب وممغنط من الكهرباء والمغنطيس ، كما قال العرب : مذهب ومفضض . وقال بقياسية المصدر الصناعي ، فيكفي لتكوينه أن يضاف الى الكلمة ياء نسب وتاء تأنيث فيقال : المثالية والكانطية ، كما قيل قديما : الجبرية والفردية . ولهذا المصدر أهميته في الدلالة على المعاني العلمية الدقيقة ، وخاصة أسماء المذاهب والنظريات مما هو مختوم بـ « ISM » في اللغات الأروبية . وحاول مجمع اللغة العربية أن يقيس أوزانا فيما لم يقل بالقياس فيه ، لأداء دلالات خاصة ، فصاغ قياسا اسم الآلة من الثلاثي على وزن مفعل ومفعال ومفعلة ، ووزن فعالة للدلالة على الحرفة كزراعة وصناعة ووزن فعال للدلالة على الداء كزكام وصداع ، وفعال أو فعيل للدلالة على الصوت . وأجاز النسب الى جمع التكسير كأحيائي ، ورأى زيادة الألف والنون قبل ياء النسبة بالشيء المنسوب اليه كسمساني ، ورأى أيضا دخول « ال » على « لا » النافية مثل « اللاهوائي » و « اللامائي » . وفي هذا ما يساعد على الضبط والدقة ، ويمكن الباحثين من التفرقة بين المعاني المختلفة . وحاول أن يضع مقابلات لبعض الصيغ الأجنبية الكثيرة الورود ، مثل « أن يفعل » لصيغة « Able » . وقد رسم المجمع للتعريب ضوابط تنظمه وتعين على الافادة منه . ومن تجربته الطويلة في جمع المصطلحات واقرارها رؤي أن يؤدي المعنى الواحد بلفظ واحد وأن يكون هذا اللفظ صالحا للاشتقاق والنسبة اليه ، واشترط الوضوح والدقة في معنى المصطلح العربي ، وكره أن يترجم المصطلح الأجنبي بجملة أو بلفظين مترادفين ، وسلم بأن يختص كل علم بمصطلحاته وأن يستعمل اللفظ الواحد أحيانا في معان مختلفة باختلاف العلوم ، ولكنه تشدد في توحيد المصطلحات المشتركة التي لا تتغير دلالتها من علم ، والتزم بأن يقرن المصطلح العربي بمقابله الأجنبي ، ولا بأس بالاشارة الى الأصل اليوناني أو اللاتيني . وفي أول عهده كان يكتفي بوضع المقابل الأجنبي أمام المصطلح العربي ولكنه اشترط فيما بعد أن يعرف المصطلح ليفهم على وجهه الصحيح وتتبين مدى دقته . ويبدو من هذه التجربة الطويلة أن العربية ليست أقل استجابة لمقتضيات العلم من أية لغة أخرى ، وكم من مصطلح عربي ألصق بمعناه وأدق في دلالته من مصطلح أجنبي . ويخرج المجمع اللغوي مصطلحاته مستوفية لكل هذه الشروط ، فلا غرو ان أقبل عليها جميع المشتغلين بالعلم وكثر استعمالها في مؤلفاتهم وتلك وسيلة مهمة لتوحيد المصطلح العربي .

وقد عرض المجمع لألفاظ الحياة العامة ، لأنها جزء من متن اللغة كثير الورود والاستعمال ولأنه كان عليه أن يتخير من بينها ما ينبغي أن يدخل المعجمات الحديثة . وقد عرض لها في دوراته الثلاث الأولى ، ثم انصرف عنها الى جملة الى المصطلحات العلمية والفنية ، ولم يعد اليها الا بعد نحو عشر سنين بدفعة قوية من أحد أعضائه ورئيسه فيما بعد . فقد اقترح المرحوم الأستاذ « أحمد لطفي السيد » تكوين هيئة لجمعها من واقع الحياة في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة ، تمهيدا لوضع معجم خاص فيها يمكن الافادة منه في المعجمات اللغوية . وعاد اليها أخيرا في لجنة ألفاظ الحضارة الحديثة . ويحرص المجمع على الا يقر منها الا ما استقر وشاع ، وأن يصل فيها الى ضرب من التوفيق والتقريب بين البلاد العربية .

هذا ويقف مجمع اللغة العربية جهدا كبيرا على جمع المصطلحات ومناقشاتها واقرارها ، ويأخذ في الأغلب بما يقوله الخبراء والمتخصصون. ومهما توسع في التعريب فلم تزد قط نسبة ما قبله من ألفاظ أجنبية في معظم المواد على ٥ في المائة من مجموع ما أقر من مصطلحاتها . وقد أخرج قديما كراسات في مصطلحات بعض العلوم ، ومنذ سنة ١٩٤٢ أخرج ست مجموعات كبيرة تشتمل على الآلاف من مصطلحات العلوم المختلفة . ويحرص في السنوات الأخيرة على أن يخرج كل عام مجموعة تشتمل على ما يقره مؤتمره السنوي من مصطلحات. ولا شك في أن هذه المجموعات تعد نواة المعاجم العلمية والفنية الخاصة .

ولقد كان من أهم أغراض مجمع اللغة العربية أن يقوم بوضع « معجم تاريخي للغة العربية ». وتحقيقا لذلك ، كون في الدورة الأولى « لجنة المعجم » من كبار اللغويين العرب والمستعربين ، فحددت الخطة ورسمت المعالم الرئيسية لما ينبغي أن يكون عليه المعجم العربي في القرن العشرين . وقد بحثت اللجنة كثيرا وألمت بالموضوع من جميع أطرافه ، فقسمت الأدب العربي الى عصور ، وحاولت حصر المعاجم وكتب اللغة التي يرجع اليها ، ووضعت لها رموزا تدل عليها ، وأوصت بتصفية المعاجم لتدارك ما فيها من نقص ، ودعت الى تتبع كتب الأدب لجمع ما تظفر به من ألفاظ وتعبيرات فاتت أصحاب المعاجم السابقة ، واستعرضت مناهج بعض المعاجم الأوروبية الحديثة وخاصة معجم أكسفورد . وبالجملة فان المجمع عني عناية تامة بمنهج تأليف المعاجم ودرسه على مختلف وجوهه ، وقام فيه بعدة تجارب ، حتى استقامت له خطة واضحة . وقد استكمل هذه الخطة بطائفة من المبادىء لها شأنها في وضع المعجم وتأليفه ، فهو يرى أولا أن اللغة العربية توجد في كتب الأدب والعلم وفيما يجري على السنة الناس من حوار ومناقشة الى جانب ما يجري في المعجمات . ويرى ثانيا أن اللغة العربية قديمة وحديثة معا ، ولذا فانه من الواجب ألا نقف بها عند القرن الثاني أو الرابع للهجرة كما صنع القدماء الذين لم يعتدوا بما ورد بعد ذلك من نظم أو نثر ، فان معجم القرن العشرين كما يرى المجمع ، يجب أن يعبر عن اللغة في مختلف عصورها فيضع ألفاظا حديثة الى جانبها ما وضع في الجاهلية وصدر الاسلام . ويرى أخيرا أن من حق المحدثين أن يقيسوا كما قاس القدماء ويشتقوا ويصرفوا . وفي ضوء هذه المبادىء سار المجمع في المعاجم التي أحيلت عليه ليدلي فيها برأي مثل « معجم خلف » و « معجم النجاري » ، وفي المعاجم التي أصدرها ، مثل معجم « فيشر » والمعجم الكبير والمعجم الوسيط ومعجم ألفاظ القرآن الكريم . وسنتكلم عنها ان شاء الله عند عرض مطبوعات المجمع .

أما بالنسبة لتيسير النحو ، فان المجمع قصد منذ نشأته الى تيسير اللغة متنا وقواعد ، وترخص في ذلك ما وسعه ؛ فهو — كما ذكرنا من قبل — اجاز القياس بوجه عام ، وأخذ ببعض الآراء المرجوحة ان كان فيها ما يتلائم مع حاجات العصر ومستلزمات العلم والحضارة . فقال بقياسية التضمين والمصدر الصناعي ، وجمع الجمع ، والاشتقاق من أسماء الأعيان ، وتعدية الثلاثي بالهمزة أو التضعيف . وقاس صيغا للدلالة على الحرفة أو الداء أو اسم الآلة ، كما قاس مطاوع فعل وفعّل وفاعل وتفاعل واستفعل . وأجاز جمع المصدر والنسب الى جمع التكسير ، وتكملة مادة لغوية لم يذكر بقيتها في المعاجم ، وعطف الأقل على الأكثر في الاعداد المركبة مع المائة وان كان الأرجح العكس .

أما تيسير الكتابة العربية ، فقد استوقفت المجمع مشكلاته منذ انشائه ، وأخذ يعالجها علاجا متصلا منذ سنة ١٩٣٨ ، عنيت بها لجنة الأصول ولجنة اللهجات ، وأنشئت من أجلها لجنة خاصة هي لجنة تيسير الكتابة . وقد أثير بحثها غير مرة في مجلس المجمع ومؤتمره وأسهم في حلها أعضاء المجمع أنفسهم ، وأشترك معهم الخبراء والفنيون من رجال الخط والطباعة . ووضعت فيها باستقلال رسائل متلاحقة تبين وجهات النظر أو تعرض بعض المقترحات . وانتهى المجمع الى حلول فيها كثير من التبسط والتيسير ، ولا يزال يضع المشكلة نصب عينيه ، مرتقبا ما يمكن أن يسفر عنه البحث من اصلاح وتجديد .

ولقد عرض المجمع أيضا لموضوع تيسير الاملاء غير مرة ، واستمع فيه الى بحوث من أعضائه ، وتلقى فيه تقارير مختلفة من وزارة التربية ومن بعض الهيئات العلمية ، ولم ينته المجمع فيه بعد الى قرارات تتعادل مع ما بذل في سبيله من جهد .

ويشجع مجمع اللغة العربية الانتاج الأدبي فلجنة الأدب به — الى جانب انتاجها في مجال المصطلحات الأدبية — تعلن كل عام عن جوائز أدبية لموضوعات تقترحها ، وهي اما قصة — وقد نالت تشجيعا كبيرا من المجمع — واما رواية مسرحية ، واما تحقيق كتاب قديم ، واما بحثا حول شخصية عربية . وقد ظفر بجائزته كثير من كبار كتاب القصة ، وأكثر من واحد في مجال التحقيق العلمي . ولم يقف المجمع عند الجوائز المادية ، بل رأى أن يتوج بعض الانتاج ، فتوج أول ما توج شعر خليل مطران ، وتوج من بعده الانتاج القصصي بالعربية الفصحى لمحمود تيمور ، ونوه بمجموعة شعر الكاظمي .

ويعنى المجمع بنشر النصوص القديمة على الطريقة العلمية . وقد أخرج لعشاق التراث بعض الكتب الثمينة . وقد نشط أخيرا في هذا المجال الأمر الذي سيكون له أكبر الأثر في ازدهار التحقيق .

مطبوعات المجمع

لقد كان من أهم أغراض المجمع أن يحافظ على سلامة اللغة وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ملائمة لحاجات الحياة في هذا العصر الحاضر ، وأن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية . وقبل أن نتحدث عن المعاجم التي أصدرها المجمع نذكر أن ترتيب هذه المعاجم يسير حسب الترتيب المألوف لحروف الهجاء العربية على اعتبار الحرف الأول والثاني والثالث ، وهو ترتيب « أساس البلاغة » للزمخشري و « المصباح المنير » للفيومي . أما الترتيب الداخلي للمادة فيبدأ بايراد الفعل المجرد ثم المزيد بحرف وحرفين وثلاثة ، فاذا ما انتهى من ذكر الأفعال عرض الأسماء مرتبة على نظام ترتيب الأفعال .

المعجم اللغوي التاريخي (معجم فيشر)

يرجع تفكير « فيشر » في معجمه الى العقد الأول من هذا القرن . ولقد عرض موضوع هذا المعجم سنة ١٩٠٧ في بال « Basel » على المستشرقين الألمان في الاجتماع التاسع والأربعين للغويين والمدرسين الألمان وقد ذكر أن المعاجم العربية التي ألفها الغربيون ، وبخاصة تلك التي عالجت الفصحى في عهدها القديم ، لا تفي بالمطالب العلمية ، وذلك لأسباب منها : أنها لم تعتمد على كتب الأدب ، بل نشأت من المعاجم التي ألفها العرب . ورأى ألا يتفرد بعمل هذا المعجم ، بل أنه يبغي اشراك غيره معه .

وقد كان « فيشر » عضوا في المجمع ورغب أن يتبنى المجمع معجمه . وكان قد رتبه حسب الترتيب المألوف ، وعرض كل كلمة من كلمات اللغة حسب وجهات النظر السبع التالية : التاريخية ، والاشتقاقية ، والتصريفية ، والتعبيرية والنحوية ، والبيانية ، والأسلوبية . وكان منهجه ألا يقتصر في استشهاده عند عصر معين ، كما كان يفعل القدماء الذين اقتصروا على عصور الاحتجاج ونهايتها في أواخر القرن الثاني في الحاضرة ومنتصف القرن الرابع في البادية ، وعدوا من عاش فيما تلا ذلك من عصور مولدا . أما هو فقد رأى الاحتجاج بكل العصور ، حتى العصر الحديث ، الا أنه في النموذج الذي طبعه المجمع وقف بالشواهد الى نهاية القرن الثالث الهجري . وقد قال « فيشر » في مقدمته أنه ليس من الضروري اثبات كل الشواهد التي وردت على كلمة ما في المعجم ، اذ أن هذا قد يؤدي الى البلبلة عند اثبات كل كلمة كثيرة التداول ، كما يتطلب تطويلا لا موجب له ، بل يجب الاقتصار على اثبات الشواهد التي تدل على الأطوار التاريخية للكلمة . ويجب العناية — كما يقول فيشر — بآخر تطور وصلت اليه الكلمة ، وهل بقيت مدة طويلة في أفواه الناس أو اندثر معنى من معانيها واستعيض عنها بمرادف لها . والشواهد يجب أن تسجل على حسب الترتيب التاريخي ، واذا تعددت الشواهد يقتصر على أوضحهامعنى ويقدم المنسوب الى قائله ويهمل غيره.

وفي أعقاب وفاة « فيشر » في عام ١٩٤٩ ، حاول المجمع أن يجمع أصول معجمه ، ما كان منها بمصر وما كان بألمانيا ، وكان نصيب المجمع جزازات غير مستوفاة . ونشر المجمع مقدمة ونموذجا من أول الهمزة الى « أبد » ، سنة ١٩٥٠ بعنوان « المعجم اللغوي التاريخي » . ثم أعاد طبعه ، وأضاف اليه جدول رموز للكتب التي نقلت عنها الشواهد وبعض الملاحظات مع رموز أخرى استعملت في المعجم ، وكان ذلك سنة ١٩٦٧ .



المعجم الوسيط

طلبت وزارة المعارف المصرية الى المجمع أن يخرج للعالم العربي معجما على النمط الحديث بحيث يكون سهل التناول ، ويشتمل على صور لكل ما يحتاج شرحه الى تصوير وعلى مصطلحات العلوم والفنون . وقد قرر المجمع البدء في هذا العمل نظرا الى حاجة طلاب التعليم الثانوي ومن في مرتبتهم وجمهرة المثقفين من أبناء الأمة العربية الى معجم لغوي وسيط ميسر الترتيب يتناول المصطلحات العلمية الصحيحة . وقد وكل أمره لأربعة من أعضاء المجمع هم الأساتذة أحمد حسن الزيات ، وابراهيم مصطفى ، وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار يعاونهم في ذلك بعض المحررين . وقد صدر الجزء الأول منه في عام ١٩٦٠ والجزء الثاني في عام ١٩٦١ . وهو يشتمل على ٣٠ ألف مادة و ٦٠٠ صورة . وقد صدر منه عشرة آلاف نسخة أوشكت على النفاد ، ويعتزم المجمع اعادة طبعه على ضوء الملاحظات التي أبديت على الطبعة الأولى .

المعجم الكبير

رأى المجمع أن يخرج للناس معجما كبيرا ، فدرس الفكرة واستقر بعد مناقشات ودراسات على المنهج ، وأخرج جزءا كتجربة في ٥٠٠ صفحة . وبعد دراسات وافية للملاحظات التي تلقاها المجمع من العلماء ، استقر الرأي على تأليفه بطريقة سهلة تيسر على الباحث العثور على هدفه بسهولة ويسر . ويبدأ هذا المنهج بذكر أصل المادة في كل اللغات السامية ، ان وجد ، ثم يذكر معانيها الكلية ، وينقل عن « ابن فارس » ما ذكره من معان كلية لها . ثم يتناول المادة كلا دون تجزئة بين معنى وآخر مبتدئا بالأفعال : المجرد اللازم ، فالمتعدي ، فالمزيد ، ثم الأسماء متبعا في ترتيبها النظام الأبجدي . وقد حرص المجمع على أن يستشهد على ألفاظه ، بنصوص من الشعر والنثر على اختلاف العصور مع ترتيبها ترتيبا تاريخيا ، كما حرص على أن يثبت من مصطلحات العلوم على اختلافها ما يشيع بين المثقفين ويصبح جزءا من اللغة العامة . وقد صدر جزء من هذا المعجم في سنة ١٩٧٠ يقع في ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير ، ويشمل مواد صرف الهمزة ، معززا بالصور لتوضيح المعنى في مواد كثيرة . وتتابع اللجنة اعداد المواد ، وقد أنجزت الى الآن حرف الباء .

معجم ألفاظ القرآن الكريم

صدر الجزء الأول من هذا المعجم في سنة ١٩٥٣ بمقدمة توضح تطورات العمل فيه ومنهجه كما شمل مواد حروف : الهمزة والباء والتاء ويقع في ١٨٥ صفحة ، وصدر الجزء الثاني في عام ١٩٥٩ مشتملا على مواد حروف : الجيم والحاء والخاء والدال والذال ويقع في ٢٦٥ صفحة ، ثم صدر الجزء الثالث في سنة ١٩٦١ محتويا على مواد الحروف : الراء والزاي والسين في ١٩٢ صفحة ثم رأى المجمع لسرعة انجاز هذا العمل أن يقسم الباقي من المعجم بعد حرف الشين على ثلاثة أعضاء لاعداده اعدادا نهائيا هم الأساتذة أمين الخولي ، وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار رحمهم الله . فقام الأول باعداد الجزء الرابع ويشمل حروف الصاد الى الفاء بالاضافة الى حرف الشين الذي كان قد أعدته اللجنة مجتمعة ، وقد نشر في سنة ١٩٦٨ في ٣٥٦ صفحة ، وقام الثاني باعداد الجزء الخامس ويشمل مواد حروف القاف والكاف واللام وقد نشر في سنة ١٩٦٩ في ٢٥٢ صفحة ، وقام الثالث باعداد بقية المعجم ونشر في الجزء السادس في سنة ١٩٧٠ في ٣١٨ صفحة . وصدرت أخيرا طبعة جديدة من هذا المعجم في جزءين كبيرين . والمنهج الذي اتبع في اعداد هذا المعجم هو :

أولا — اذا كانت الكلمة القرآنية ترد في القرآن بمعنى واحد : تشرح الكلمة شرحا لغويا أولا . فان كانت فعلا مجردا ذكر بابه ومصدره ومشتقاته ، ان كان لهذه المشتقات ورود في القرآن الكريم ، وان كانت فعلا مزيدا ذكر معناه ثم ذكرت مشتقاته على النحو السابق ، وان كانت اسما اكتفي بمعناه ، وان كانت مصدرا ذكر معناه وفعله . ثم يبين أن الكلمة وردت في القرآن الكريم في كذا موضعا ، وأنها جاءت في كل هذه المواضع بالمعنى الذي ذكر آنفا .

ثانيا — اذا كانت للكلمة القرآنية معان لغوية مختلفة : ينص على المعاني اللغوية كلها ، ويبين نوع الفعل والمصدر ، وتذكر المشتقات التي وردت من هذه المادة . وتؤخذ أولا أكثر المعاني دورانا في القرآن الكريم ، وينص على أن الكلمة وردت بهذا المعنى في كذا وكذا موضعا ويذكر مثالان من الآيات مع اسم السورة ورقم الآية ، ثم يكتفى بعد ذلك بما جاء من هذا المعنى بذكر السورة ورقم الآية . وتذكر المعاني الأخرى ، معنى بعد آخر ، ويذكر بعد كل معنى عدد الآيات التي جاءت فيها الكلمة بهذا المعنى ، ويكتفى بمثال ، ثم تذكر السور وأرقام الآيات الأخرى .

ثالثا — قد يسهل أحيانا اذا كان للكلمة أكثر من معنى أن يبدأ بالمعاني التي وردت في قليل من الآيات ، ثم يذكر المعنى الذي ورد به كثير من الآيات ، ويقال : ما عدا ذلك فهو بمعنى كذا في باقي الآيات .

رابعا — اذا كان للكلمة معنى لغوي واحد ، ولكنها استعملت في القرآن الكريم بألوان مختلفة بسبب المجاز أو نحوه ، نص على المعنى اللغوي البحت وقيل أنها تستعمل أو قد ترد بمعنى كذا ، ثم تذكر الآيات وأرقامها على النحو السابق .

مجاميع المصطلحات ، والمعاجم الخاصة

عالج المجمع المصطلحات منذ دورته الأولى بعدما كانت المصطلحات تقدم دون تعريف ، ثم بدئ بتعريفها منذ الدورة الرابعة عشرة . والمصطلحات التي درسها مجمع اللغة العربية ، تتصل بعلوم : القانون ، والاقتصاد ، والطبيعة ، والكيمياء ، والصيدلة ، والجيولوجيا ، والعلوم الطبية ، والرياضيات ، والنبات ، والاحياء ، والفلسفة ، والتربية ، وعلم النفس ، والجغرافيا ، وفن الطباعة ، والرسم ، والتصوير ، والموسيقى ، وعلم اللغة ، ومصطلحات المؤتمرات ، وألفاظ الحضارة .

وكان المجمع في بادئ الأمر ينشر مصطلحاته في مجلته الخاصة به ، ثم تولى نشرها

بعد ذلك في كتيبات تحوي مصطلحات في علم معين. ففي عام ١٩٥١، نشر مصطلحات القانون المدني، ونشر في العام نفسه مصطلحات القانون التجاري كما نشر في سنة ١٩٥١ أيضا مصطلحات علم الصحة، وفي سنة ١٩٥٢ المصطلحات الكيميائية، وفي سنة ١٩٥٧ أصدر الجزء الأول من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ويقع في ٦٣٨ صفحة من القطع الكبير. ثم نشر الجزء الثاني منه في سنة ١٩٦٠. وقد واصل المجمع نشر المصطلحات العلمية والفنية في أجزاء متعاقبة بلغت الى الآن أربعة عشر جزءا.

وقد دأب المجمع منذ بضع سنوات على نشر معاجم اصطلاحية مختلفة نشر منها حتى الآن معجم في الجيولوجيا، وآخر في الجغرافيا، ويتابع حاليا نشر المعجم الفلسفي وقد وصل فيه الى حرف (R)، كما يتابع نشر معجم المصطلحات اللغوية، وهو الآن بصدد اعداد الجزء الأول من المعجم الطبي. هذا ويبلغ عدد المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع حتى الآن قرابة مائة ألف مصطلح في مختلف العلوم والفنون.

البحوث والمحاضرات ومحاضر الجلسات

درج المجمع على أن ينشر البحوث والمحاضرات التي يلقيها السادة أعضاء المؤتمر في مجلته الرسمية ثم ارتأى في سنة ١٩٥٩ نشر هذه البحوث والمحاضرات مستقلة مرفقا بها المناقشات التي دارت حولها، والبحوث التي ينشرها المجمع عادة بحوث علمية تبحث في شؤون اللغة والأدب.

كما حرص المجمع، منذ الدورة الأولى لافتتاحه، على نشر محاضر جلساته ما أمكنه ذلك، والجهود ماضية الآن لاستدراك ما فات منها وطباعته.

مجلة المجمع

صدر منها حتى الآن سبعة وعشرون مجلدا. وكانت في أول ظهورها مجالا لنشر نشاطات المجمع من بحوث ومصطلحات. ولكنها بعد أن أصدر المجمع مجاميع المصطلحات، وبعد أن استأنف نشر محاضر جلساته، أصبحت مقصورة على بحوث المجمعيين وغيرهم من العلماء. وكانت المجلة تصدر مرة كل عام، فأصبحت تصدر نصف سنوية. وهي سجل حافل للأبحاث الجادة العميقة التي تضيف جديدا الى صرح العلم واللغة.

مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً

أخرج المجمع في عام ١٩٦٢ بمناسبة مرور ثلاثين عاما على انشائه كتابا ذا أجزاء ثلاثة: الأول عن « ماضيه وحاضره » للدكتور ابراهيم مدكور الأمين العام للمجمع، يؤرخ فيه للمجمع منذ صدور مرسوم انشائه سنة ١٩٣٢ الى سنة ١٩٦٢، قدم له بفصل عن المجمع الفرنسي، ثم تحدث عن نشأة المجمع وتكوينه وأغراضه، والجهاز الذي يقوم عليه من أعضاء وخبراء ومحررين وموظفين اداريين، وتكلم عن انتاجه من مطبوعات وجهوده في خدمة اللغة. والحق به المراسيم والقوانين والقرارات واللوائح الخاصة بنظامه.

والجزء الثاني عن نشاطات أعضائه، للدكتور محمد مهدي علام والمرحوم الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله، والأستاذ ضاحي عبد الباقي. وقد تحدث المؤلفون فيه عن مائة عضو شغلوا كراسي المجمع مع ذكر تاريخ حياتهم وانتاجهم العلمي وتاريخ تعيينهم في المجمع وجهودهم فيه.

والثالث عن القرارات العلمية للاستاذين محمد خلف الله أحمد، ومحمد شوقي أمين، وقد تناولا فيه الحديث عن القرارات العلمية التي أصدرها المجمع منذ الدورة الأولى حتى الدورة الثامنة والعشرين.

في أصول اللغة

وهو امتداد لكتاب القرارات العلمية السابق، ويتناول القرارات التي صدرت في الدورات المتعاقبة ابتداء من الدورة التاسعة والعشرين الى الدورة الرابعة والثلاثين.

كتاب « عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب »

وهو كتاب لأبي بكر محمد بن أبي عثمان الحازمي الهمداني، من علماء القرن السادس الهجري (المتوفى سنة ٥٨٤هـ). وقد حققه تحقيقا علميا وعلق عليه وفهرس له الاستاذ المغربي عبدالله كنون عضو المجمع، ويقع في ١٥٥ صفحة. ويتناول الكتاب الأنساب العربية حيث رتبه مؤلفه على حروف المعجم وأرجع كل نسب الى أصله وذكر في كل نسب شخصا أو أكثر ممن ينتسبون اليه من الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين والشعراء والفرسان وغيرهم. وهو يعد بمثابة معجم صغير لمعرفة أنساب المشهورين والبارزين.

التكملة والذيل والصلة لكتاب « تاج اللغة وصحاح العربية »

مؤلف هذا الكتاب « الحسن بن محمد ابن الحسن الصَّغاني » (المتوفى في سنة ٦٥٠هـ)، وهو من كبار اللغويين. وقد استدرك بكتابه هذا على ما فات الجوهري (المتوفى سنة ٣٩٣هـ) في كتابه « تاج اللغة وصحاح العربية » المعروف بالصحاح. ويقول الصَّغاني: أنه أخذ استدراكه من نحو ألف كتاب في غريب الحديث واللغة والنحو وأخبار العرب وغيرها. وقد اتبع في ترتيبه ترتيب الجوهري حسب الحرف الأخير على نظام الباب والفصل. وقد كون المجمع لجنة لتحقيقه، وقد صدر الجزء الأول منه سنة ١٩٧٠ ويقع في ٥١٣ صفحة من القطع الكبير بتحقيق الأستاذ عبد العليم الطحاوي ومراجعة الأستاذ عبد الحميد حسن، عضو المجمع.

• • • •

وبعد، فهذه فكرة مقتضبة عن مجمع اللغة العربية الذي يعمل اعضاؤه في صمت بعيدين عن الأضواء، ولكن عقولهم تشع نورا يضيء سبيل السالكين في العلم وينير طريق الباحثين عن المعرفة. وقد أخرج للناس قرابة المائة مجلد ما بين مصطلحات علمية وأبحاث لغوية وعلم قديم محقق وآراء طريفة حملت التجديد ويسرت الصعب وصححت الأخطاء وقومت الألسنة. ولو تيسرت له الامكانات اللازمة من بدء انشائه لأخرج لطالبي العلم أضعاف ما أخرج من بحوث عميقة جادة ■

سعيد زايد — القاهرة



القطع برأي أو عمل مزية كبرى

بقلم الاستاذ سمير شيخاني

يتطلب من كل فرد اتخاذ القرارات المختلفة في شأن من الشؤون أو أكثر كل يوم . وبعض هذه القرارات عواقبها بسيطة ، في حين أن بعضها الآخر يمكن أن يغير مجرى حياة المرء كلها . الا أن العجز عن القطع برأي في حالة معينة أسوأ كثيرا من عدم القطع برأي ما ، فالتردد كان السبب في حالات عديدة من الفشل .

ورب قائل : « ان الظروف لم تكن ملائمة لي .. ولا يسعني قط تقرير ما يجب عمله ، فاذا أنا فعلت هذا الشيء ، لن يكون بامكاني أن أفعل الشيء الآخر ، وأنا أودأن أفعل الشيئين معا .

ان مثل هذا الشخص ، اذا ما التزم هذا الموقف الذهني ، فانه سينتهي حتما الى عدم عمل شيء فيخسر المشروعين معا ، لأنه يفتقر الى القرار الذي ينبغي له اتخاذه لمواجهة قضية معينة وسلوك سبيل العمل السوي .

ان قوة الابتكار تصبح عاجزة ومشلولة ان لم يصاحبها القطع برأي ، فالعقل الواعي حين يكون في حالة تشوش ، فانه يعكس ذهنيا هذه الحالة المشوشة على « العقل الباطن » الذي يتفاعل مع هذه الصورة الذهنية المشوشة ، ويعمل على أن تستمر هذه الحالة في الحياة العادية . وتكون النتائج دائما مترجرجة .

« انني لا أدري أين أنا ؟ » .

غالبا ما نسمع مثل هذه العبارة يرددها الكثيرون ، وهم اذ يرددونها لا يعدون الحقيقة والصواب . فالتفكير الخاطئ قد ألقاهم في وهدة الارتباك . وهم ، بلا قصد منهم ، يتخيلون أنفسهم في أسوأ حالات الارتباك . وأعلم أن قولك بينك وبين نفسك أنك لا تدري أين أنت ، لهو السبيل الأكيد لفقدانك سيطرتك على الظروف المحيطة بك .

ان عقلك اللاواعي أشبه شيء بقطعة المغنطيس التي تجتذب اليها الأشياء التي تتصورها الا أنك تنزع مغنطيسية هذه القوة عندما يعوزك التقرير ، أو عندما تعجز عن توجيه فكرك أو عقلك نحو غاية أو هدف .

أنجز ما تبدأه

من سنين قرأت بحثا لأحد الخبراء في الخط جاء فيه : « ان أولئك الذين يوقعون أسماءهم دون أن يوضحوا الحرف الأخير منها ، قلما ينهون ما يبدأون به في هذه الحياة . وفضلا عن ذلك يكون هؤلاء غالبا متشائمين ، يميلون الى الانسحاب بسهولة ، ويمكن تثبيط همتهم بيسر » .

لقد كان لعبارة خبير الخط هذه تأثير كبير علي ، فقد تفحصت توقيعي ، فتبين لي أنني أتبع تلك الطريقة لدى كتابة الحرف الأخير من اسمي . ووفقا لرأي هذا الخبير كان ذلك يدل على أنني من فئة أولئك الذين قلما ينهون ما يبدأونه . فقررت اذ ذاك ، أن أوضح الحرف الأخير من اسمي في كل مرة أكتبه . وهكذا ، وطوال سنين بعد ذلك ، كنت أفكر كلما طلب الي توقيع اسمي فيما يلي : « اني أنهي ما أبدأه » . فكانت النتيجة أنني اليوم قد نميت في نفسي عادة عقلية قوية ، وهي اتمام ما آخذ على عاتقي القيام به ، بحيث أنني أشعر وكأنني مشدود الى الغاية التي أمامي . ولا فرق لدي اذا واجهتني عقبات ، أو اذا كانت المهمة ميسرة وذات نتيجة ايجابية ، أو اذا كان لدي ثمة متسع كاف من الوقت لانجازها .

وفي الواقع لا أدري اذا كان ثمة أساس حقيقي لما قاله هذا الخبير بالخط ، ولكنني أدري يقينا أن هذا الخبير زودني بتمرين ذهني رائع مكنني من التأثير على عقلي الباطن والربط بين طريقة توقيع اسمي وفكرة انجاز ما أبداه من عمل . حتى تعودت أن أنهي كل عمل أقوم به بصفة تلقائية .

ان القوة التي يكسبها المرء من خلال ترديد العزم أو التصميم تحطم عادة التشوش الذهني ، وتمنحه سيطرة جديدة متينة واثقة على نفسه .

التغلب على الشعور بالنقص

لعل عدد الذين يشكون من نوع من أنواع الشعور بالنقص يفوق عدد الذين يشكون من سائر العقد الذهنية مشتركة . وكثيرون منا ، ممن تعوزهم القدرة على التحليل الذاتي ، ربما كبلهم شعور النقص تجاه بعض الأشخاص ، أو الأشياء خلال فترة طويلة من حياتهم دون التنبه لذلك .

لا بد أنك سمعت بعض أصدقائك يقولون :

« لست أدري لماذا لا أستطيع مقابلة البشر »

وهناك كذلك تعليقات أخرى تدل على وجود عقدة نقص مثل :

« أنا لا أرى ما يراه الناس في » .
« لا فائدة من تجربتي ذلك . فانا لا يمكنني أن أرجو عمل شيء كهذا » .
« أنا أخشى ما يمكن أن يكون عليه رأي فلان أو فلان » .
« ان في ذلك لمسؤولية كبرى علي . افضل أن أبقى في المنصب الذي أشغله حاليا » .
« أجل أنا أحبها ، ولكني لن أكون قط جديرا بها »
« لعلك تعتقد أنني أصلح لهذا العمل ، ولكنني شخصيا لست واثقا من ذلك . فأنا لم أقم من قبل بمثل هذا النوع من العمل ، ولست أريد أن أخيب ظنك » . « انه لأمر غريب حقا ، ولكن في كل مرة يحدثني فلان أو فلان لا أدري ما أقول»

مثل هذه العبارات تدفع الأشخاص الذين يرددونها بأنهم اعتادوا تشبيه أنفسهم تشبيها غير موآت وفي غير مصلحتهم بأشخاص آخرين ، أو بحالات أخرى .

يتمتع كل طفل عادي الذكاء بمواهب خفية نادرة ، فاذا كان بالامكان اكتشافها وتنميتها فانها تكون مصدر غبطة للوالدين . ويعود أصل العقد النفسية في الغالب الى الهزء من المجهود الطفولي في حضرة الناس الأمر الذي يعود بأكبر الضرر على الأطفال ، لأن كل طفل بطبيعته حساس جدا عندما يكون الأمر متعلقا بأناس أكبر منه سنا . والهزء منه والسخرية يعمقان في تفكيره الهوة بينه وبين من هم أكبر منه سنا . ولدى المقارنة يتبين للطفل قصوره وعدم كفايته دون أن يفطن في الوقت نفسه الى الفارق الكبير بين سنه وسن الآخر . وهكذا تنمو في نفسه عقدة النقص ، وتصبح باطنية ، وتستمر حتى بعد أن ينسى أصلها وسببها لزمن طويل .

ولعله ليس ثمة شعور ذهني أبعث على القلق من توهم المرء أن الآخرين يقولون عنه أشياء بقصد الغمز به ، أو أنهم يفكرون فيه بأشياء محرجة وغير لائقة . وفي معظم الأحيان لا يكون هناك أساس من الصحة لمثل هذا الشعور الذي هو مجرد ترسب من السنين المبكرة .

وقلما يعلم الراشدون مبلغ حساسية الطفل وانطباعيته بالنسبة لكل ما يقال أمامه أو يصنع معه . فالتقصير في الاهتمام بقضايا الطفل اهتماما صحيحا جديا وعلى مستوى وعي الطفل نفسه ، يزرع في نفسه بذور عقدة النقص .

ان طفلا يتمتع بموهبة الرسم الطبيعية يمكن أن يعرض أمام والده رسما عاديا ، ولكنه بالنسبة اليه رسم نموذجي . أما الوالد ، فبدلا من النظر الى الرسم من وجهة نظر ابنه ، فانه قد يعتبره نتاج انعدام النضوج والخبرة ، فيطلق بلا تفكير نقدا في غير محله . وهو اذ يفعل ذلك انما يبلد شيئا ممتازا في نفس ابنه وغريزة مثمرة تسعى الى الظهور . ويأتي التعليق المرسل بلا تفكير ، فيؤثر تأثيرا سيئا في نفس الابن ، ويجعله يقتنع بأنه عاجز عن الاتيان بشيء حسن .

لذلك لا ينبغي الحكم على الأطفال ، كما يحكم العالم المختص في فنه . فذلك الصبي كان على صواب في اعتقاده أن رسمه كان نموذجيا . والواقع أن الرسم كان نموذجيا بقدر ما يمكن لموهبته الفنية النامية أن تنتج في تلك السن . ولعله لو كرر رسم الصورة نفسها بعد أسبوع أو بعد شهر مثلا ، لجاءت أفضل وأعلى مستوى بسبب الاختبار الزائد في الرسم . وفي ضوء هذا الاختبار المتكرر يكون بامكان الصبي نفسه أن يتعرف الى النقص في رسم الأمس . وكل ما كان يحتاج اليه هذا الصبي أن يتاح له الشعور باطنيا بأن رسمه يمثل أفضل ما كان بامكانه أن يتصور ويصنع في ذلك الوقت بالذات .

ليس في وسع أحد ، صبيا كان أو رجلا ، أن يبذل أقصى جهده اذا وعى هذا الجهد وعيا ذاتيا ، أو اذا اقترن بهذا الجهد شعور بالاحتقار الذاتي .

وان القدرة على تحليل قيمة عمل ما لدى القيام به تأتي مع التدرب الطويل . وحتى تبلغ هذه القدرة أعلم أنه من المهم أن تثق بنفسك وبما تقوم به أو تنهمك فيه . فالثقة بالنفس تمنح تفكيرك وتصرفك حيوية وفعالية ، مما يرفع من قيمة عملك فضلا عن أنها تسبغ على صورك الذهنية المتعلقة بالنجاح والصحة والسعادة قوة واقتناعا . أما الشعور بالنقص فانه على النقيض يمتص الحيوية ويدمرها .

ولعل من أفظع الأخطاء السائدة بين الجميع مقارنة أنفسنا بسوانا . ذلك بأن المقارنة تؤدي حتما الى الشعور الطاغي بالنقص . رب شخص يشعر بأن ذاك الذي يعلوه رتبة هو انسان عظيم بسبب المركز الذي يحتله ، ولكن تلك ليست الحال دائما . فان من يشكو من هذا الشعور يمكن أن يكون في الواقع متمتعا بمهارة أعظم ، وقدرة على الترقي والتقدم ، ولكنها قدرة يعجز عن استغلالها نظرا لميله الدائم الى الاستهانة بقيمته الذاتية .

واذا أنت فكرت مثلا ، لدى اجتماعك الى شخص معروف بالتساؤل : « ترى ما هي نظرته الي ؟ ترى كيف أبدو ؟ ماذا ينبغي أن أقول له ؟ » فانك ولا ريب واقع تحت سيطرة الشعور بالنقص .

انك في تحويل أفكارك الى هذا الاتجاه انما ترتكب خطأ كبيرا . فعليك أن تفعل العكس تماما ، فتحول أفكارك الى الشخص الذي تجتمع اليه ، دون أن تكون أي صورة ذهنية عن أهميته وتفاهتك النسبية . ولا يغربن عن بالك أنه بالغة ما بلغت شهرة هذا الشخص ، فانه يبقى بشرا مثلك . فاذا كانت تعوزك الشهرة ، فليس معنى ذلك أنه يعوزك الذكاء ، أو الارادة ، أو الشخصية أو بعض المزايا القيمة الجديرة بتقدير هذا الشخص ولو أنك قابلت هذا الرجل دون أن تعلم أنه شخصية مهمة ، لكنت اذن نظرت اليه على أنه انسان متساو واياك عقليا ، ولما شعرت بأي نقص !

ان الاهتمام بالآخرين يولد الاهتمام . ويمكنك أن تتغلب على الخوف من عجزك عن الابقاء على جذوة الحديث متأججة ، بطرحك بعض الأسئلة على الشخص الذي تقابله .. أسئلة تستدعي التحدث عن نفسه وعن نشاطاته ، بعد أن تكون قد عرفت عنه ما تستطيع من معلومات قبل الاجتماع اليه — اذا كان ذلك ممكنا — لكي تتأهب لبدء الحديث ، والابقاء عليه دائرا بسهولة وطبيعية .

ليس ثمة انسان على وجه البسيطة يمكنه أن يقاوم المجاملة من طريق اهتمام امرئ به اهتماما صادقا صحيحا . فاذا كنت تناضل ضد شعور بالنقص ، فجرب الطريقة التي تقضي بجعل الآخرين يتحدثون عن أنفسهم وفي مختلف المواضيع . اكتشف هواياتهم ، واهتماماتهم الخاصة . وعندما تكون هذه الهوايات والاهتمامات تتلاءم وهواياتك واهتماماتك توسع فيها ، وقدم تعليقات عليها من عندك . فلن يمضي طويل وقت حتى ينسيك اهتمامك في الحديث والمناقشة نفسك ، وشعورك بالعجز عن الاستمرار في الأخذ والرد . وعندها ستدهش لقوتك على التعبير بعد أن تكون قد أزلت من نفسك تأثير عقدة الشعور بالنقص ■

سمير شيخاني — بيروت

النظـرة إلى العـمل اليـد

بقلم الدكتور مدني عبد القادر علاقي

إن الاهتمام بتطوير القوى البشرية وتنميتها بما فيها القوى العاملة هو أمر ضروري وحيوي بالنسبة للمجتمعات السائرة في طريق النمو . فالنهوض والتطور الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع يستلزم تكاتف جميع مقومات الانتاج من أموال وموارد طبيعية وجهد بشري .. وقد تتوفر الأموال وكذلك الموارد الطبيعية . وقد تتوفر الموارد البشرية أيضا ، ولكن توفر المهارة البشرية هي بلا شك العمل الأهم والمهم في هذا التطور . كما أن ادارة الآلات وصيانتها ، وتخطيط المصانع وتنظيمها ، وفلاحة الأراضي وجني محصولها ، وتنسيق المتاجر وتحريك أموالها ، كل هذا يحتاج الى اليد الماهرة المحترفة والى التفكير المنطقي السليم والمدعم بأحدث وسائل التعليم والتدريب .

وبناء القوى العاملة الوطنية وتطويرها هو جزء مهم وحيوي في عملية البناء الشامل للقوى البشرية والتي تتمثل في عناصر المجتمع وطبقاته دون النظر الى الجنس أو الطبقة الاجتماعية أو الحرفة المهنية .. فالمدرس والعسكري والقاضي والطالب وربة المنزل والفلاح والعامل والمحامي كل هؤلاء يمثلون في مجموعهم ما يقصد بتعبير « القوى البشرية » .. ومن ناحية أخرى فان بناء القوى البشرية في المجتمع وتطويرها تقتضي توافر برامج متعددة ممثلة في التعليم والتدريب والخدمات الصحية والاجتماعية والتربية الرياضية والموسيقية والفنية وكل ما له فائدة وعلاقة بتوسيع مدارك الفرد وصقل مواهبه .

أما القوى العاملة في المجتمع فهي تلك الطبقة التي تسهم اسهاما فعليا في الانتاج القومي عن طريق ماتبذله من مجهود بشري ملموس ، وعلى هذه الطبقة يتوقف مدى تحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع . والتعليم والتدريب بأنواعهما كافة ، هما الوسيلة المثلى لتطوير هذه القوى وزيادة انتاجيتها تحقيقا لهدف زيادة الانتاج القومي ، وبالتالي زيادة دخل المجتمع ورفاهيته . ولقد تجلى واضحا اهتمام حكومة المملكة العربية السعودية بتنمية القوى العاملة وتطويرها كجزء ، كما أسلفنا ، من القوى البشرية في تحديد أهداف أول خطة تنمية للمملكة. وتمثل هذه الأهداف حسبما حددها مجلس الوزراء في المادة (١) من قراره رقم ٦٩٣ وتاريخ ١٣٨٩/٧/٥هـ « الحفاظ على القيم الدينية والأخلاقية وزيادة الرفاهية ورفع مستوى المعيشة لمجتمع المملكة العربية السعودية مع الحفاظ على الأمن والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي وذلك بالعمل على تحقيق الأهداف التالية :

• زيادة معدل نمو الانتـاج المحلي الاجمالي .

• تطوير الموارد البشرية لتتمكن عناصر المجتمع المختلفة من زيادة مساهمتها الانتاجية وتمكينها من المشاركة الكاملة في عملية التنمية .

• تنويع مصادر الدخل الوطني وتخفيف الاعتماد على البترول عن طريق مساهمة القطاعات الانتاجية الأخرى في الانتاج المحلي الاجمالي (١) .

شاره على برامج تطوير القوى العاملة

وفيما يختص بالهدف الثاني وهو تطوير الموارد البشرية بالمملكة ، فقد أدركت الدولة أن الدور الأساسي لهذا التطوير يتجلى في برامج التوسع في التعليم والتدريب ، والتي يمكن أن تؤدي الى استغلال أفضل موارد البلاد البشرية عن طريق :

• اتاحة المجال أمام عدد أكبر من السعوديين لشغل مراكز شاغرة في كل القطاعات العامة والخاصة .

• تسهيل ايجاد تمثيل أوسع نظاما للسعوديين في جميع مجالات الاستخدام .

• اتاحة المجال أمام استبدال عدد من الأجانب الذين يعملون حاليا بالمملكة واحلال الأيدي الوطنية محلهم (٢) . هذه في الواقع هي أهداف واضحة ، غير أن تنفيذ هذه الأهداف يواجه اليوم بعض المشاكل .

ان المشكلة التي نواجهها اليوم في نطاق تطوير قوانا العاملة ليست مشكلة ذات طابع اقتصادي مالي ، فالدولة تنفق أموالا طائلة في هذا المضمار ، وهي ليست أيضا مشكلة ادارية مـن حيث تخطيط برامج التطوير وتنظيمها وتنفيذها . فالخبرة السعودية في هذا المجال تتكاتف مع الخبرة العالمية ممثلة في الخبراء الأجانب الذين تستقدمهم المملكة ، بالاضافة الى خبراء الأمم المتحدة ، ولكن مشكلتنا ، وهذا هو الأهم ، اجتماعية بالدرجة الأولى لأن جزءا من أبناء هذا الوطن لا زالوا ينفرون من الاقدام على ممارسة بعض المهن والحرف واستنكار الأعمال اليدوية والتي في حكم تفكيرهم تعتبر مساسا لكرامة الفرد ومركزه الاجتماعي في القبيلة أو المجتمع ككل .. وتكون النتيجة أن تلجأ منشآتنا ومصانعنا الى العامل الأجنبي لسد العجز في سوق العرض للايدي السعودية الوطنية الأمر الذي ينعكس بالتالي على اقتصاديات الوطن . والنتائج الاقتصادية لهذه المشكلة تتمثل جلية فيما يلي :

• ضياع جزء كبير من الدخل القومي على المواطنين السعوديين متمثلة في الأجور والرواتب والمزايا الأخرى المدفوعة للعمال الأجانب المستقدمين .

• استثمار جزء كبير من دخول هؤلاء الأجانب خارج سوق الاستثمار المحلي نتيجة تحويلهم لأجزاء من دخولهم الى بلدانهم الأصلية .

• نقص حجم النشاط الاقتصادي السعودي بسبب ضعف القوة الشرائية والناجمة عن :

أ ــ نقص الحجم الاستهلاكي للمواطن السعودي بسبب نقص دخله والمترتب على التجائه الى الوظائف الحكومية التي قد لا تعود عليه بدخل يعادل ما قد يتقاضاه في حالة اكتسابه مهنة معينة وممارستها .

ب ــ طبيعة القوة الشرائية للعامل الأجنبي والذي يكتفي في العادة بحجم محدود من الانفاق وحياة مبسطة في سبيل التمتع بجزء كبير من دخله في وطنه الأصلي بعد انتهاء عقده وعودته الى وطنه .

أهداف وماهية برامج تطوير القوى العاملة

تقوم برامج تطوير القوى العاملة على زيادة المهارات ورفع الكفاية الانتاجية والقضاء على عناصر البطالة ان وجدت ، وهي تختلف عن برامج تطوير القوى البشرية في أن الأخيرة أعم وأشمل بصفتها لا تتناول قطاعا معينا في المجتمع ولا برنامجا محددا ، وانما تشمل جميع الأفراد والطبقات دون تمييز للعمر ولا للجنس أو لمكان أو طبيعة العمل .. وأهداف تنمية القوى البشرية وتطويرها واضحة ، وتتمثل في رفع قدرات الأفراد وتوسيع مداركم وتتاح لهم بالتالي فرصة الاسهام في حقل الانتاج وزيادة معدل نموه المحلي والاجمالي .

ولعل من أبرز الدوافع والأهداف التي ترتكز عليها برامج تطوير القوى العاملة في مجتمع ما :

• القضاء على البطالة ومحاربة جميع عناصرها . وذلك بفتح مجال العمل في ايجاد واكتساب مهارات جديدة ، وبالتالي الدخول الى ميدان الانتاج والمساهمة فيه والحصول على دخل منتظم ، وأخيرا رفع القوة الشرائية للفرد .

• اعادة تدريب العمال الموجودين على كل جديد في دنيا العمل حتى لا يتخلفوا بذلك عن التطورات التكنولوجية في الآلات المستخدمة ولا في التطورات العلمية في مجال الادارة والتنظيم .

ولعل وجود العديد من برامج تطوير القوى العاملة في مجتمعنا السعودي اليوم لهو أبرز دليل على مدى ما يدركه المسؤولون من أهمية في القضاء على عناصر البطالة بأنواعها ومكافحة نفور الشباب من الاقدام على بعض المهن . ويمكننا أن نستعرض فيما يلي أهم البرامج القائمة في المملكة العربية السعودية الرامية الى تطوير قواها العاملة :

التعليم الأكاديمي أو العام

ونعني به جميع أنواع التعليم ومستوياته والتي لا تقود الفرد الى تعلم مهنة أو اكتساب حرفة معينة في أطوارها الأولى وانما يتركز هدفها في توسيع مدارك الفرد وقدراته وتنويره في شتى آفاق العلم والمعرفة .. وتتدرج أنواع هذا التعليم من المراحل الابتدائية فالمتوسطة فالثانوية ثم الى المراحل الجامعية ، حيث تبدأ منها عملية التخصص الفعلي ، وخاصة في الكليات العملية كالطب والهندسة . ولقد عرف دور التعليم في تطوير القوى البشرية ، فخصصت للتعليم مبالغ طائلة حتى أن ميزانية التعليم خلال السنة المالية ١٣٩١–١٣٩٢ هـ بلغت أكثر من ألف مليون ريال سعودي وهي تبلغ تقريبا ضعف ميزانية التعليم للسنة المالية ١٣٩٠–١٣٩١هـ .

التعليم الفني والمهني

لقد أدرك المسؤولون الدور الذي يلعبه هذا النوع من التعليم في سد احتياجات البلد من الأيدي العاملة الماهرة والتي تعتمد الى حد كبير على الأيدي الأجنبية ، فأولوا هذا التعليم نوعا بالغا من الأهمية ، وكان ان أنشئت أول مدرسة صناعية من هذا النوع في جدة في عام ١٣٦٩ وتوالى بعد ذلك افتتاح مدارس ضخمة للتعليم المهني الصناعي في الرياض والمدينة المنورة والهفوف وجدة . وقد مر نظام التعليم المهني بعدة تغييرات طوال هذه السنين بحثا عن الأفضل حتى استقر الأمر على قبول خريجي شهادة الكفاءة بدلا من الشهادة الابتدائية لهذا النوع من التعليم والذي يتطلب نوعا من الادراك والنضوج من قبل الملتحقين .

مراكز التدريب المهني للعمال

وتتبلور فكرة هذه المراكز وأهدافها في الاعتماد المحلي على الأيدي العاملة الماهرة وشبه الماهرة والتشجيع على اكتساب مهنة بالاضافة الى محاولة رفع المستوى المعيشي للعامل السعودي عن طريق رفع انتاجه في العمل من خلال اعداد برامج للتدريب تشمل دراسات عملية ونظرية في مجالات متعددة كالخراطة والكهرباء والميكانيكا والطباعة وغيرها من المهن السريعة التعلم ، وتقوم الآن بالمملكة ستة مراكز للتدريب المهني يتخرج منها سنويا أعداد كبيرة من الأيدي الماهرة لتسهم في بناء الصناعة المحلية ورفع مستواها الى المستوى المطلوب .

معهد الإدارة العامة

وقد انشئ هذا المعهد في عام ١٣٨١هـ الموافق ١٩٦١م ، وهو يهدف الى تطوير العمل الاداري لموظفي الدولة في المصالح المختلفة .. وقد أسهم هذا المعهد في الفترة الواقعة بين عام ١٣٨٢–١٣٨٧هـ بتخريج ٦٥٠٦ من موظفي الدولة من برامجه المختلفة .. ولا يزال المعهد يلعب دورا بارزا في تطوير الكفاءات الادارية لموظفي الدولة ، وهو بهذا يختلف في أهدافه وطبيعة التدريب فيه عن بقية وسائل التعليم والتدريب الآنفة الذكر . (٣)

مراكز ومعاهد التدريب بالمصالح الحكومية

مع تزايد اهتمام الدولة بتطوير القوى العاملة في مرافق الدولة والحاجة الى هذا التطوير ظهر نشاط تدريبي واسع ومنظم في الكثير من الوزارات والمصالح الحكومية ، ويختلف نشاط التدريب في هذه المصالح باختلاف طبيعة الأعمال المنوطة بهذه المصالح واحتياجات العمل فيها .. وتشير خطة التنمية لعام ١٣٨٩هـ / ١٣٩٠ هـ الى أن هناك ما يقرب من خمسة عشر مركزا للتدريب قائما الآن أو في طريقه للانشاء في مرافق الدولة المختلفة (٤) .

بعد هذا الاستعراض الوجيز لبرامج التطوير القائمة الآن في المملكة نعود الى هدف هذا الموضوع وهو : كيف يمكن أن تؤثر مشاكلنا الاجتماعية والمتمثلة في النظر الى العمل اليدوي على نشاط هذه البرامج .. وحيث أن الحديث ينصب أساسا على القوى العاملة في القطاع الخاص وبالأحرى في قطاع الانتاج ، يكون عندئذ من المفيد مناقشة الموضوع أو المشكلة من جانب البرامج التعليمية والتدريبية ذات العلاقة المباشرة بميدان الانتاج . وفيما يلي ثبت ببرامج التعليم المهني الصناعي وبرامج مراكز تدريب العمال التابعة لوزارة العمل والشئون الاجتماعية :

برامج التعليم المهني الصناعي

تنعكس آثار النفور من العمل المهني على برامج التعليم الصناعي في المملكة في اتجاه غالبية الشباب من خريجي المدارس الابتدائية والمتوسطة الى التعليم الثانوي العام . ولعل الجدول رقم (١) يعطينا مزيدا من الايضاح عن هذا الوضع . ويبدو واضحا من هذا الاحصاء الفرق الهائل كمّاً ونسبة بين الملتحقين بالتعليم المتوسط والثانوي العام والمتوسط والثانوي المهني .. هذا ويجب أن نلاحظ أن الانحدار في اعداد الملتحقين بالتعليم المتوسط المهني للفترة المشار اليها جاء نتيجة لتغيير طرأ على نظام التعليم المهني والذي أصبح الالتحاق به مقصورا على خريجي الشهادة المتوسطة بدلا من خريجي الشهادة الابتدائية وذلك اعتبارا من العام الدراسي ١٣٨٤/١٣٨٥هـ . وبالاضافة الى تأثير النفور من العمل المهني على الناحية العددية للملتحقين بهذا النوع من التعليم فقد شمل هذا التأثير أيضا الناحية النوعية .. فقد لوحظ أن المتهنين للتعليم الفني المهني غالبا ما يميلون الى دراسات فنية مهنية معينة كالكهرباء والميكانيكا تاركين أنواعا أخرى من التخصص يبدو أن البلاد في حاجة ماسة لها مثل الطباعة والسباكة والحدادة والنحت .. ففي العام الدراسي ١٣٨٧/١٣٨٨هـ مثلا كان عدد الملتحقين بالمدارس الصناعية بالمملكة في فرع الكهرباء ٩٥ طالبا وفرع الميكانيكا ١١١ طالبا وفرع السباكة والحدادة والنحت ٣،٨،٣ على التوالي (٥).

برامج مراكز التدريب المهني للعمال

بالرغم من أن الملتحقين بمراكز التدريب المهني للعمال هم عادة من كبار السن اذا ما قورنوا بالشباب الملتحقين بمدارس التعليم الصناعي المهني ، فان النظرة لممارسة بعض الأعمال المهنية لا تزال سائدة حتى بين هؤلاء الكبار .. فالمشكلة الاجتماعية بكل أطوارها وجذورها القبلية تتمثل جلية واضحة في اعداد الملتحقين وفي نوعية الحرف التي يميلون اليها ..

ولقد اتيحت لي الفرصة يوما ما أن أتحدث لأحد المسؤولين عن تطوير القوى العاملة بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية عن مشكلة النفور من الأعمال المهنية فقال : ان هذه المشكلة قد تسبب لهم بعض الارتباك في العمل وتحرم السوق المحلية من بعض القوى العاملة التي هي في مسيس الحاجة اليها .. وقد وضع المسؤول النقاط على الحروف فقال : اننا ننفق الكثير على تدريب شخص ما ويتخرج من المركز وفي يده مهنة شريفة يستطيع أن يعيش منها عيشة كريمة ولكنه يصطدم بأهله وقبيلته التي ترى في المهنة عارا

على القبيلة وتكون النتيجة هي الخيار بين أمرين : اما التخلي عن المهنة والبحث عن عمل حكومي أو التخلي عن القبيلة والأهل وممارسة المهنة ، والأخيرة أمر صعب فيما يبدو .

من هذا الواقع نجد أن الملتحقين بمراكز التدريب يفضلون التدريب على بعض المهن ذات الطبيعة الفنية كالكهرباء والميكانيكا ، تاركين بعض المهن كالسباكة والبناء وغيرها. ويستدل من الاحصاءات على أن الاتجاه السائد لدى الطلاب في مدارس التعليم الصناعي هو اقبالهم على تعلم حرف معينة دون غيرها . ومما تجدر الاشارة اليه أنه كلما كانت المهنة ذات طبيعة فنية بحتة كالكهرباء وهندسة الراديو والتلفزيون والعمل الميكانيكي كثر اقبال الملتحقين بهذا التخصص وقل بالنسبة لتخصصات أخرى كالحلاقة والسباكة والبناء ، وهي أعمال يفترض فيها الممارسة اليدوية أكثر من الناحية العقلية والفنية ...

هذا هو واقع الملتحقين بالمدارس المهنية الصناعية وبمراكز التدريب المهني للعمال بالمملكة العربية السعودية ، وهو واقع أملته ظروف اجتماعية محددة ، لهذا ليس غريبا أن نرى في مجتمعنا اعدادا كبيرة من الأيدي العاملة الأجنبية .. ولعل في الجدول رقم(٢) الوارد في احدى احصاءات وزارة العمل والشئون الاجتماعية ما يبرر واقعنا في هذا المجال :

ومن هذه الاحصاءات تتبدى لنا حاجة سوق العمل السعودي الى الأيدي الأجنبية في مجالات الأعمال الفنية والخدمات. ومن خلال دراسة للعمل الصناعي في كل من الرياض وجدة أجراها أحد الأخصائيين في هذا الموضوع عن أسباب التحاق عينة من ١١٢ عاملا من مصانع منطقة الرياض ، تبين أنه ما يقارب من ٦١٪ من مجموع العينة التحقوا بهذا المصنع بدافع حاجتهم الملحة للعمل ، ونظرا لوجود وظائف بهذه المصانع .. بينما هناك نسبة ٨٪ تقريبا من هذه المجموعة التحقت بالعمل في هذه المصانع بدافع الرغبة في تشجيع الصناعة الوطنية وفي الميول الى العمل الصناعي .

وفي جدة ومن عينة تضم ١٤٧ عاملا تبين أن ٥٢٪ تقريبا من هذه المجموعة أقبلت على العمل بدافع الحاجة الملحة للعمل ، بالاضافة الى ميولها الى العمل في حقل الصناعة ، بينما كان هناك١٢٪ من هذه الفئة التحقت بدافع الرغبة في تشجيع الصناعة الوطنية (٦) ■

د : مدني علاقي – جدة
دكتوراه في ادارة الأعمال والعلاقات الصناعية والعمالية

جدول رقم (١)

الملتحقون بالمدارس المتوسطة والثانوية في التعليم العام والتعليم الفني المهني للفترة من ١٣٨٤ – ١٣٩٠

السنة	التعليم المتوسط العام	التعليم الفني المهني المتوسط	التعليم الثانوي العام	التعليم الفني المهني الثانوي
٨٥/٨٤	١٤٣٤١	٣٨٣٨	٣٦٨٩	١٣٨
٨٦/٨٥	١٨٧٣٠	٢٥٨٣	٣٨٣٧	١٣٠
٨٧/٨٦	٢١٢٩٧	١٤٦٩	٤٥٧٣	١٣١
٨٨/٨٧	٢٩٥٥٦	٥١٢	٥٨٣٤	٣٦١
٨٩/٨٨	٣٢٥٦١	٢٧٧	٦٩٤٠	٦٧٤
٩٠/٨٩	٣٨٠٢٨	١٤٨	٨٢٤٣	٨٢٠

جدول رقم (٢)

العاملون في بعض الأعمال والحرف الفنية والمهنية في ٢٥ مدينة بالمملكة العربية السعودية في سنة ١٣٨٨ هـ

المهنــة	السعوديون	الأجانب	المجموع
المهن الفنية	٥٤٥	٢٥٩٩	٣١٤٤
الخدمات	٤٦٩٩	٩٤١٦	١٤١١٥
عمال الانتاج والعمال غير المهرة	٢١٥٦١	٢٢٤٥٦	٤٤٠١٧

١ – الهيئة المركزية للتخطيط ، خطة التنمية ١٣٩٠هـ ، (الرياض : الهيئة المركزية للتخطيط ، ١٣٩٠) ص ٢٥ .
٢ – تابع خطة التنمية ١٣٩٠هـ ، ص ١٠٤
٣ – معهد الادارة العامة ، انجازات المعهد خلال الفترة ١٣٨٩/١٣٩٠ وخطته للفترة ١٣٩٠/١٣٩١هـ (الرياض : معهد الادارة العامة ، ١٣٩٠) ص ٢٨٣ .
٤ – تابع خطة التنمية ١٣٩٠هـ ، ص ٧١ .
٥ – وزارة المعارف ، نشرة عامة عن احصائيات التعليم للعام الدراسي ١٣٨٧/١٣٨٨هـ ، (الرياض : وزارة المعارف ، ١٣٨٨) ص ٢٠٥ .
٦ – دكتور محسون جلال ، العمل الصناعي السعودي في الرياض ، العمل الصناعي السعودي في جدة ، (الرياض : مركز الأبحاث والتنمية الصناعية ، ١٣٨٩) ص ٢٦ من الجزء الأول ، ص ٣٨ من الجزء الثاني .



جبيل والقلعة

مُتحفُ التَارِيخ البشريّ ومهدُ الأبجديّة

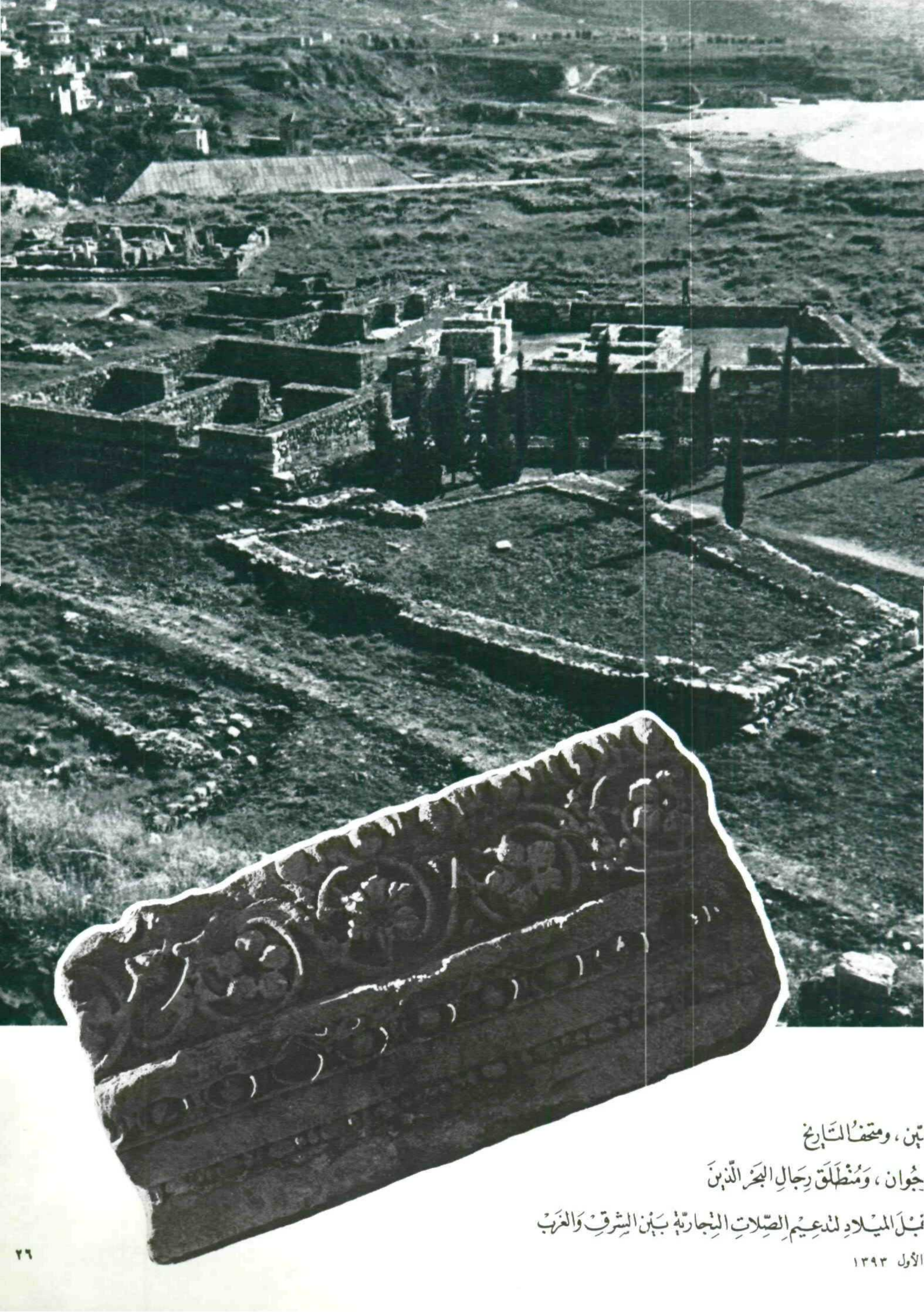
بقلم الاستاذ نجاني

جبَيل، أو «بيبلو

البشَرِيّ، ومَهْدُ ا

جَابُوا البِحَارَ والمحيطا

قافل



تين ، ومتحفاً لتاريخ

جوان ، وَمُنطَلَق رِجالِ البحر الذين

قبلَ الميلادِ لتدعيم الصِلاتِ التجاريّة بين الشرقِ والغرب

الطريق الى جبيل

تبعد جبيل هذه عن بيروت مسافة ٣٥ كيلومترا في اتجاه طرابلس شمالا ، ويمر المسافر اليها بمنطقة نهر الكلب حيث ترك الفاتحون والغزاة ، من « رعمسيس الثاني » حتى الاحتلال الانكليزي والفرنسي سبع عشرة لوحة منقوشة على الصخور دلالة على الاجتياز أو الاحتلال .. « مصريون مندفعون لغزو الحثيين ، وحثيون عازمون على اخضاع المصريين ، وآشوريون — البابليون والكلدان — يزحفون لغزو الاراميين والعبريين ، وكلهم يمرون عبر الأراضي اللبنانية ويتركون كتابات عند مصب نهر الكلب » .

ثم يجتاز المسافر خليج جونية الرائع ، والنهر الذي ينبع من مغارة « أفقا » ، وكان يعرف في الأزمنة القديمة بنهر « أدونيس » الأسطوري ، ثم عرف منذ القرن السابع للميلاد بنهر ابراهيم ، نسبة لسابع امراء الموارنة الذي شيد على النهر قنطرة « لا مثيل لها في لبنان » في ذلك العصر .

اسم مدينة جبيل

مدينة جبيل هي من أقدم مدن التاريخ ، يقدر عمرها بسبعة آلاف سنة ، كانت قاعدة لمزيج من العشائر الآرامية والكنعانية ، ويعني اسمها في اللغات السامية « الجبل الصغير » ، ودونت في المراسلات الفرعونية باسم « جبلا » أو « جيبال » وأحيانا « جبن — KPN » .. وهناك رأي يقول بأن الاسم الأصلي لهذه المدينة هو « جب — ايل » أي حصن الاله ، بمعنى أنها المدينة المقدسة للشعوب السامية التي قطنتها في العصور الغابرة .

وقد عرفت هذه المدينة في العصرين الاغريقي والروماني باسم « بيبلوس » ، ومرد هذه التسمية الى أن الفراعنة كانوا في قديم الزمان يكتبون الكلام المصور « الهيروغليفي » على ورق البردى وهو نبات يكثر على ضفاف النيل ، ويسمونه « بابيروس » ، وعرف الاغريق هذا النبات الذي يستعمل للتصوير والكتابة ، ونقله بحارتهم الى مدينة جبيل ، وصاروا يطلقون عليه ، بقصد السهولة في التعبير ، « اسم بوبلوس » ، ثم تحولت الى « بيبلوس » وبات اسم الورق يعرف عند الشعوب الأوروبية بـ « Paper » وهو مشتق من « بابيروس » ، كما بات اسم الكتاب « بيبلو — Biblo » أو « Bible » ، غير أن السكان الأصليين تمسكوا باسم مدينتهم الأصيل « جبيل » ، وثبته الفتح العربي ، كما أن الصليبيين تقيدوا به ولفظوه « جيبليت » تصغيرا لكلمة الجبل الذي تقوم عليه المدينة .

وهناك عوامل عديدة أخرى جعلت لجبيل شهرة عظيمة ، عدا مصدر اسمها ، وهي أنها كانت قاعدة حكم وعبادة ، ومرفأ بحريا ممتازا للسفن الفينيقية ، وكان المصريون يصدرون لها أعمدة حجارة الغرانيت ، ويستوردون منها خشب الأرز لبناء السفن ، ودعم سقوف القصور والمعابد ، وصنع التوابيت للفراعنة ، كما كانت تخرج منها المراكب الفينيقية الى جميع أنحاء العالم مثقلة بأخشاب الأرز والصنوبر ، والمصنوعات الزجاجية ، والجلدية ، والأصبغة ، والأقمشة الملونة ، والورق المعد للكتابة والزينة ، وغيرها من الصناعات المحلية .

جبيل مدينة الأساطير

كانت جبيل موطنا لثلاث أساطير شهيرة .. الأولى أغريقية الطابع وتقول أنه كان لـ « أجنور » ملك صور ابنة اسمها « أعروبة » وابن اسمه « قدموس » يقيم في جبيل ، وذات يوم وبينما كانت الفتاة تلعب مع خديناتها على شاطئ بحر صور ، شاهدها « زفس » الأسطوري ، فوقع في حبها ، واختطفها وقطع بها البحر الى أن حط بها في عاصمة ملكه « كريت » حيث اقترن بها .. أما شقيقها الجبيلي « قدموس » ، الذي اكتشف الحرف ، فقد طلب منه أبوه أن يركب البحر للبحث عن شقيقته المفقودة ، فنفذ قدموس رغبة أبيه هذه ، وجاب الجزر الى أن نزل في جزيرة كريت ، وعلم هناك أن شقيقته باتت ملكة ، فالتقى بها واطمأن باله ، ونقل الخبر الى أبيه ، ثم انصرف الى تعليم الأغريق الكتابة بالحرف ، وأقام في تلك الديار ومات فيها .

ثم تقول الأسطورة أن « زفس » قدم القارة هدية لزوجته « أعروبة » وعرفت منذ ذلك الزمن باسم أوروبا .

أما الأسطورة الثانية فهي محلية الطابع تقول أن « أدونيس » شاب جميل تحبه « عشتروت » ، وكانت تعلم أنه اذا ما ذهب للصيد سيقتل حتمـا ، وانطلق « أدونيس » ذات يوم من مدينة جبيـل الى الأحراج بالقرب من مغارة « أفقا » ، وهناك هاجمه وحش بري وقتله ، وسال دم « أدونيس » غزيرا ، وصب في نهر ابراهيم ، فصارت مياهه تحمر في الربيع ، وتنبت شقائق النعمان حمراء قانية .

أما الأسطورة الثالثة فهي مصرية الطابع ، وتقول أن « أوزيريس » حاكم عادل ، لا ينعم بعطفه الا من تطهر قلبه وحسنت سريرته ونواياه ، وابتعد عن أذى الناس ، صرعته عوامل الشر والحسد ممثلة في أخيه « ست » ، فبكته زوجته « ايزيس » بكاء مرا ، وراحت تبحث عن جثته ، فقيل لها أنها وضعت في نعش وألقي في اليم ، فحملته الأمواج وحطت به في ميناء جبيل ، ثم جاءت « ايزيس » الى جبيل تبحث عنه نائحة باكية ، فانصبت بدموعها نهر



مجموعة من المسلات الحجرية التي أقامها الفينيقيون في قلعـة جبيل قبل أكثر مـن عشرين قرنا .

« الفيدار » القريب من المدينة فجفت مياه هذا النهر ..

لمحة تاريخية عن جبيل

عرفت جبيل « المدينة الدولة » أنظمة من الحكم تدل على عراقتها وعظم أهميتها في التاريخ، حكمها الأمراء الأموريون (القرن ٢١—١٨ ق.م.) ثم خضعت للحماية الفرعونية (القرن ١٦—١٣ق.م ثم غدت مملكة مستقلة (القرن ١٣—٨ ق.م.) ، ثم أذعنت للسيادة الأشورية البابلية (القرن ٨—٦ ق.م.)، ثم للسيادة الفارسية (القرن ٦—٤ق.م.)، والأغريقية (القرن ٤—سنة ٦٤ ق.م.) ، والرومانية (سنة ٦٤ ق.م — القرن الرابع ب.م) ، والبيزنطية (القرن ٤ ب.م — ٧ ب.م) .. أما الحكم العربي الأول للمنطقة فقد استمر من سنة ٦٣٧م حتى مطلع القرن الثاني عشر الميلادي .

كانت جبيل موطنا لأمراء المردة الموارنة أبان الحكم البيزنطي ، وكان سكانها يتمتعون باستقلال اداري ويحكمهم مقدمون ، كما كانوا قد تعربوا في لغتهم وعاداتهم قبل الفتح العربي بقرون عديدة عن طريق اختلاطهم بعناصر من القبائل النازحة من الجزيرة العربية مثل الغساسنة والتنوخيين وغيرهم .

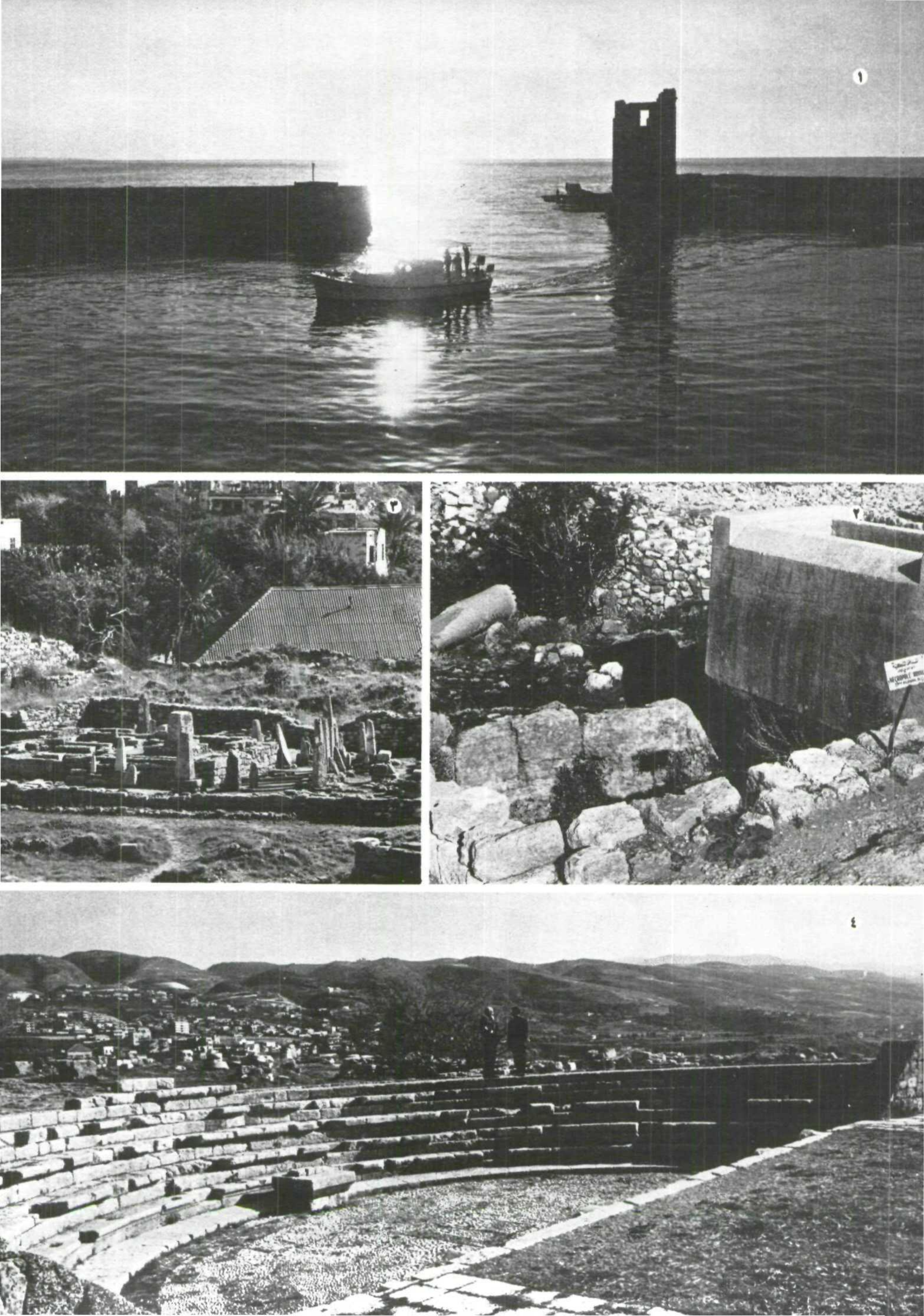
وفي ٣٠ يوليو سنة ٦٣٤م دخل العرب المسلمون سوريا ولبنان، ويقول المؤرخ «البلاذري» في ذلك : « فتوجه يزيد بن أبي سفيان ، في ولاية ابي عبيدة بن الجراح ، ففتح عرندل صلحا، ثم أتي بعد فتح دمشق ، صيدا ، وعرقة ، وجبيل في سنة ٦٣٦م ، وبيروت في سنة ٦٣٥م ، وهي سواحل ، وعلى مقدمته أخوه معاوية ، ففتحها فتحا يسيرا ، وجلا الكثير من أهلها » .

وهكذا غدت جبيل العربية مقاطعة من دمشق ابان العهدين الأموي والعباسي ، ثم انتقلت الى حكم الفاطميين في مصر ، وكانت تابعة لامارة بني عمار في طرابلس ، الذين استقلوا عن الفاطميين حوالي سنة ١٠٦٩م.

وفي سنة ١٠٩٩م ، وابان الحملة الصليبية الأولى ، حاصر القائد الصليبي « ريموند دوسانت جيل » حامل ألقاب « كونت تولوز » ، و« دوق ناربون » و « مركيز البروفانس» ، حاصر مدينة طرابلس ، وتسلل الى الجزء الشرقي منها ، وشيد عليه سنة ١١٠٣م قلعة أطلق عليها اسم « قلعة الحجاج » ، وهي المعروفة بقلعة « صنجيل » ، وكان يحكم المدينة وقتئذ القاضي « فخر الدين الملك أبو علي بن عمار » ، وقد تسنم الامارة سنة ١٠٩٨م .



مجموعة من مخلفات الحجارة التي استخدمت في بناء القلعة ، وقد بدا جانب من مدينة جبيل في أقصى الصورة .


١
٣
٢
٤

وفي سنة ١١٠٤م احتل « ريموند صنجيل » مدينة جبيل لكنه لم يعش ليرى احتلال طرابلس ، فيقول « ابن الوردي » في وصف موته ما يلي : ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائةه ، وحدث فيها أن كان صنجيل قد ملك جبلة – تقع بين اللاذقية وطرطوس – فخرج الملك أبو علي بن عمار ، صاحب طرابلس وأحرق الربض ، فانهدم بعض السقوف المحترقة بصنجيل ، فمرض عشرة أيام ومات في سنة ١١٠٥م ونقل الى القدس » .

وتولى زمام القيادة ابنه « برتران » وهاجم طرابلس بأسطول مؤلف من سبعين سفينة معقودة اللواء لأمير البحر « وليام امبرياكوس » القائد العام لجمهورية جنوا في مياه المشرق ، فتغلب على المقاومة العربية بحرا وبرا ، واستولى على طرابلس في ٢٦ يونيو سنة ١١٠٩م ، وقامت على الأثر دولة لاتينية تعرف بكونتية طرابلس « تمتد من شمال المرقب حتى جبيل » ، ثم غدت جبيل مقرا لأسرة امبرياكوس أو « امبرياتشي » الجنوية الحاكمة ، والتي يقترن اسمها بقلعة جبيل الشهيرة .

وظلت جبيل خاضعة للحكم الصليبي مدة ١٨٥ سنة الى أن كان الفتح العربي الثاني على يدصلاح الدين الأيوبي ، فانتزعها من الصليبيين في سنة ١١٨٧م ، ثم تثبت ذلك الفتح نهائيا في سنة ١١٨٩م في عهد المماليك على يد السلطان المنصور سيف الدولة قلاوون . وقبعت جبيل منذ ذلك الحين على ركام ضخم من الآثار والذكريات .

العرب والحصون الساحلية

كان العرب في فتوحاتهم يعيرون الحصون أهمية كبرى كمراكز للحشد والمقاومة ، فلقد كتب معاوية الى الخليفة عمر بن الخطاب ، بعد موت أخيه يزيد ، يصف له حال السواحل السورية اللبنانية ، فأجابه الخليفة كما يذكر البلاذري : « بضرورة ترميم حصونها ، وترتيب المقاتلة فيها ، واقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها » .

« ولما استخلف عثمان بن عفان ، كتب الى معاوية يأمره بتحصين السواحل ، وشحنتها ، واقطاع من ينزله اياها القطائع ففعل » .

« وبنى معاوية لبلدة جبلة حصنا خارجا من الحصن الرومي القديم ، وكان سكان الحصن الرومي رهبانا وقوما يتعبدون دينهم » .

« وفتح عبادة بن الصامت الأنصاري ، الذي خلف عبيدة بن الجراح ، والمسلمون معه انطرطوس ، وكان حصنا ثم جلا أهله عنه ، فبنى معاوية انطرطوس ومصرها ، وأقطع القطائع وكذلك فعل بمرقية وبلنياس » .

والجدير بالذكر أن معاوية اضطر « لترميم الحصون وشحنتها » للاستعانة بعناصر غير عربية أتى بها من فارس « لأن معظم سكان جبيل البيزنطيين هربوا ليلا الى قبرص » .

ويذكر اليعقوبي في كتاب البلدان : « ان مدينة طرابلس وأهلها قوم من الفرس كان معاوية ابن أبي سفيان نقلهم اليها ، ولهم ميناء عجيب يحتمل ألف مركب .. وجبيل وصيدا وبيروت وأهل هذه الكور كلها قوم من الفرس ، نقلهم اليها معاوية » .

فمن البديهي أن يعير الفاتحون العرب الأول ، حصن جبيل الروماني القديم ، مثل باقي حصون الساحل وقلاعه البيزنطية ، ما تستحقه من عناية ، فيعملوا على تجنيد أهل الاختصاص من الفرس وغيرهم ، لترميم هذه الحصون والقلاع ، وشحنتها وترتيب المقاتلة فيها ، لتبقى عربنا لهم خلال أربعة قرون على التوالي .

قلعة جبيل

قلعة جبيل تمثل أجيالا وثقافات ، فكل شعب حكم هذه المنطقة ترك فيها أثرا ، كانت مكان عبادة للكنعانيين ثم أقام عليها الأغريق هيكلهم ، ثم تبعهم الرومان البيزنطيون ، فالعرب ، فالصليبيون ، فالمسلمون العرب والأتراك ، فكل شعب كان يطور البناء في القلعة حسب ذوقه ومقتضيات عصره .

وقد أقام القاضي « فخر الدين بن عمار » ، أمير طرابلس وجبيل في القرن الحادي عشر ، بناء تكتلياً في القسم الأسفل من القلعة ، والى


٥

اليسار الشرقي من المدخل الرئيسي ، وحصنه استعدادا لصد غارات سينقض بها الفرنجة من البحر .

ولما كان الصليبيون في طريقهم الى الديار المقدسة ، احتلوا جبيل ووجدوا فيها حصنا رومانيا يقوم الى جانبه بناء عربي من أعمال بني عمار ، فعمدوا الى دمجهما واقامة أبنية وتحصينات أخرى عليهما وحولهما مستفيدين من حجارة هياكل رومانية مندثرة ، لم يبق منها اليوم سوى ستة أعمدة واقفة وعمودين ملقيين على الأرض ، بحيث تؤلف كلها القلعة المعروفة اليوم بقلعة الصليبيين ، واتخذوها قاعدة للزاحفين المحاربين ، ومتراسا لحماية قوافلهم التجارية ، ومنازل للحجاج منهم .

ثم احتل العرب جبيل ثانية ، ابان عهد صلاح الدين الأيوبي ، وأدخلوا تعديلات في قلعتها ، كما أجرى المماليك في القرن الرابع عشر الميلادي اصلاحات واضحة المعالم فيها ، تتناول القاعة الكبرى في الطابق الأرضي ، والجسر القائم على الخندق ، والمدخل الرئيسي للقلعة ، والأقسام العليا للبرج .. ثم احتلها الأتراك واتخذوها «قشلاقا» وسجنا . ويشاهد المرء آثار قنابل راسخة في جدران القلعة أطلقها عليها الأسطول الانكليزي سنة ١٨٤٠م ، تأييدا للآستانة في حربها ضد « ابراهيم باشا » وحليفه الأمير بشير الشهابي .

١ – بقايا مدخل ميناء جبيل القديم وقد انعكست على صفحة مياه البحر الأبيض المتوسط أشعة الشمس فأضفت على المدخل جمالا طبيعيا فاتنا .

٢ – جانب من المدافن الملكية التي تحتضنها قلعة جبيل الأثرية والتي يرجع تاريخها الى الألف الثاني قبل الميلاد .

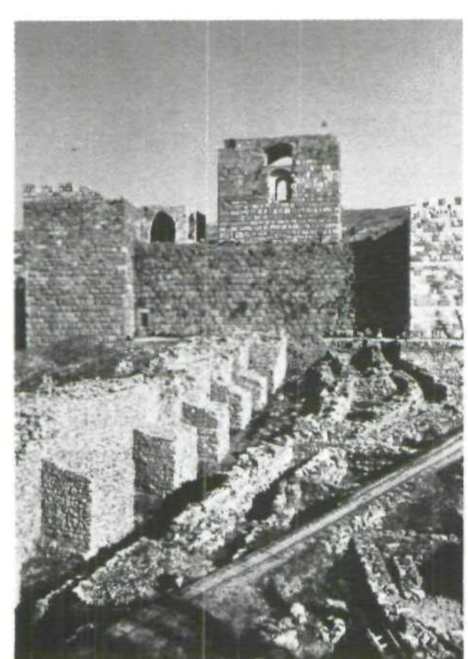
٣ – جانب آخر من المسلات والهياكل التي يرجع عهدها الى زمن الفينيقيين في مدينة جبيل ..

٤ – بقايا المدرج الروماني الفسيح الذي يعد من مآثر مدينة جبيل التاريخية .

٥ – أحد التيجان التي تعلو الأعمدة الأغريقية التابعة لقلعة جبيل .



خرائب أثرية تمثل بقايا الهياكل والمسلات التي كانت فيما مضى جزءا من قلعة جبيل التاريخية .



السور الفينيقي التابع للقلعة بعد ترميمه ..

فقلعة جبيل الحالية مؤلفة من طابقين بأربعة أجنحة ، ومن يقف على سطحها يكون على ارتفاع ٢٥ مترا بالنسبة للطابق الثاني ، و ٥٠ مترا بالنسبة للطابق الأول ، و ٧٥ مترا بالنسبة لسطح البحر .

ففي الطابق الأرضي منها جب لحفظ المياه ، ومكان لتخزين الأسلحة والمؤن ، وملجأ للحصار والمقاومة مدة طويلة . أما الطابق الثاني فمخصص للمكاتب وغرف النوم والمراقبة .. وكانت القلعة هذه محاطة بخندق تغمره المياه من كل جانب ، تصله من ميناء جبيل بواسطة قناة اصطناعية .

والقلعة هذه مربعة الشكل تتضمن ستائر من الجدران ، ودهاليز ، ولها أربعة أبراج في الزوايا ويقع الرابع منها الى الجنوب الشرقي ، وقد أعيد بناؤه من قبل دائرة الآثار اللبنانية سنة ١٩٥٠م ، من بقاياه التي عثر عليها ملقاة في خندق القلعة .

وفي حديثنا عن قلعة جبيل نبدي ملاحظتين ، الأولى : أن الحصن المركزي القديم قائم في زاويته الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية على حجارة ضخمة ، يبلغ عرض بعضها خمسة أمتار ونصف المتر وعلوها مترين ، وليس هناك ما يثبت أن هذه الحجارة أخذت من هيكل « أيل » أو « أدونيس » المندثر ، لأن الفينيقيين بوصفهم شعب تجارة بحرية ورحلات بحرية متواصلة ، لم يجدوا ما يحملهم على اقامة هياكل حجرية ضخمة ، حتى أن تقليدهم للفراعنة في اقامة الأنصاب التذكارية والمسلات ، كان على مستوى بسيط وبدائي ، فهم كانوا على وفاق مع الطبيعة ، فكل شيء متوفر لهم ، الأمطار الغزيرة والثلوج ، والينابيع ، والخضار ، واللحوم والفاكهة.. أي أن احتياجاتهم الضرورية لمعيشتهم كانت في متناول أيديهم دائما ، على نقيض الفراعنة الذين كانوا في خوف دائم من عدم فيضان النيل ، وما يتسبب عنه من قحط ومجاعة ..

فحجارة قلعة جبيل الضخمة لا مثيل لها الا في قلعة بعلبك ، أو في القلعة الرومانية القائمة على قمة جبل مجدل عنجر .

والملاحظة الثانية : أن الزائر المدقق يرى شارات ورموزا منقوشة على بعض هذه الحجارة منها ثلاث رسمات ترمز لخاتم سليمان ، فهي على الأغلب من عمل البنائين الأعاجم وغيرهم الذين أتى بهم معاوية من فارس ، واستخدمهم في ترميم الحصن في مطلع الفتح العربي ، ومنها نجمات ذات ثمانية أطراف نقشت على الحجارة في زمن متأخر ، نرى لها شبها في أختام أسرة « أمبريا كوس » في جبيل اللاتينية .

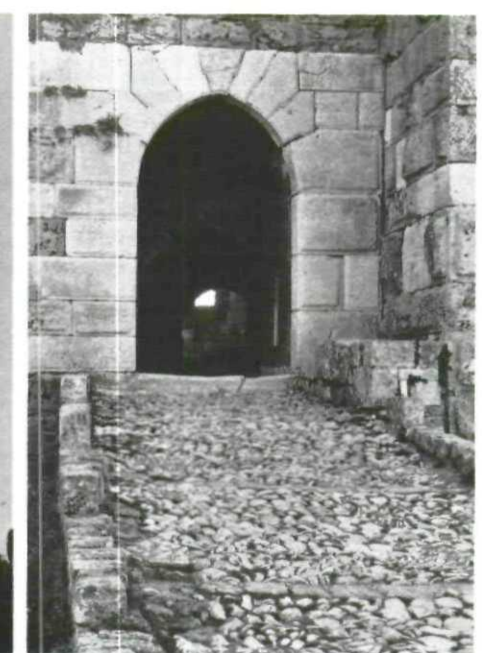
جولة في منطقة الآثار

يقف المرء على سطح الطابق العلوي من قلعة جبيل ويلقي نظرة الى الجهة الجنوبية منها فيشاهد مساحة من الأرض تقدر بكيلومتر مربع واحد ، تقوم عليه آثار معابد وأبنية فينيقية تتحدث عن أولى محاولات الانسان لبناء مساكن له من الحجر ، بعد أن كان يقيم في الكهوف والمغاور ، كما تتحدث عن أولى معتقدات هذا الانسان وشعائره .

فكيفما ألقيت نظرك من عل تطالعك آثار تمتد من العصر الحجري والنحاسي ، الى العصور المتأخرة ، تراها متشابكة متلاحمة ، بقايا سور فينيقي تجاوره أسوار فرعونية وآشورية وفارسية ، وأغريقية ورومانية .

يذكر الرحالة الفارسي « ناصر خسرو » في كتابه « سفر نامة » أنه زار جبيل في شهر فبراير سنة ١٠٤٧م ، ابان خلافة المستنصر الفاطمي ، فيقول : « ومن طرابلس بلغنا مدينة جبيل ، وهي مثلثة تطل زاوية منها على البحر ، ويحيطها سور حصين شاهق الارتفاع ، وحولها النخيل وغيره من أشجار المناطق الحارة » .

فيعقل أن يكون السور « الحصين الشاهق الارتفاع » الذي شاهده خسرو ، قبل الحملة الصليبية بنصف قرن ، هو الحصن الروماني القديم الذي تقوم عليه الآن القلعة الصليبية ، لأن حفريات دار الآثار اللبنانية دلت على « أن المدينة كانت محاطة بسور سمكه خمسة أمتار وارتفاعه أربعة أمتار لصد الغزوات البحرية عن المدينة » ، فسور ارتفاعه أربعة أمتار لا يسمى شاهق الارتفاع مهما بالغ « خسرو » في الوصف.. لقد وقع نظر « خسرو » على الحصن فاعتبره جزءا من السور الذي يطوق المدينة ، فأطلق على الاثنين معا اسم « السور الشاهق الارتفاع » .



أحد المداخل العديدة التي تتخلل قلعة جبيل الأثرية .



مجموعة من الأعمدة الرومانية التابعة لقلعة جبيل الأثرية في لبنان .

الحفريات في جبيل

بدأت الحفريات في جبيل منذ سنة ١٨٦٠م عن طريق بعثات أجنبية ، منها بعثة المستشرق والعالم الفرنسي « ارنست رينان » ، التي أوفدها نابليون الثالث ، وقد تم نقل قسم كبير من الآثار المكتشفة في جبيل الى المتحف التاريخي في باريس ، كما نقل قسم آخر منها فيما بعد الى المتحف الوطني اللبناني في بيروت .

وتوقفت أعمال التنقيب في جبيل نصف قرن تقريبا ، أي حتى سنة ١٩٢١ ، وابان الانتداب الفرنسي ، فحدث وقتئذ «أن طاف الموج على الساحل وكشف عن مغارة مكسوة بقشرة الذهب ، وعثر فيها على آثار مهمة منها ما ذهب الى متحف اللوفر ومنها ما ذهب الى متحف نيويورك » .

وهنا تنبهت المفوضية الفرنسية في بيروت للأمر وأوفدت العالم الأثري « فيرلو » الى جبيل فأجرى التنقيب فيها ، ثم تابعت دائرة الآثار اللبنانية أعمال التنقيب والحفريات منذ سنة ١٩٢٨م حتى أيامنا هذه ، وسارت بها شوطا كبيرا فتمكنت من الكشف عن الآثار الفينيقية على وجه التقريب ، كما تمكنت من الكشف عن معظم آثار العصور المتعاقبة .

لقد أثبتت هذه الحفريات على أن مدينة جبيل كانت تشغل في القدم مساحة واسعة تشمل بعض التلال المجاورة ، والشاهد على ذلك بقايا الحصون والأعمدة والمعابد بالاضافة الى المدافن المنتشرة في اتجاه الغرب .. كما أثبتت هذه الحفريات على أن جبيل كانت في العهد الفينيقي مطوقة بمياه البحر بواسطة قناة اصطناعية ، بالاضافة الى القناة التي كانت تطوق القلعة ، وأن المدينة كانت محاطة بسور يبلغ سمكه خمسة أمتار وارتفاعه أربعة أمتار ، ولا يزال بعضه قائما .

أبرز آثار جبيل

لقد بذلت دائرة الآثار اللبنانية برآسة العلامة الأثري « الأمير موريس شهاب » مجهودا كبيرا وأنفقت أموالا طائلة ، للكشف عن جبيل القديمة وآثارها .. ومن علماء الآثار الذين أسهموا في أعمال التنقيب والحفريات : بيير مونتي (١٩١٩) وفيرلو (١٩٢٢) وموريس ديناند (منذ سنة ١٩٢٦ حتى اليوم) .

وقد بذل هذا الأخير نشاطه في الكشف عن معالم جبيل ويلقب بـ « رجل جبيل الكبير » . أما أبرز ما اكتشف في جبيل فهو : نقوش مصرية العهد والشكل ، ورسوم فسيفساء تعود الى العهود الأغريقية والرومانية والبيزنطية ، اكتشفها « ارنست رينان » ، ثم وهبتها الدولة العثمانية لفرنسا (بينها ناووس الملك اشمونعزر المكتشف في صيدا) ، وآنية عطر من الذهب ، وحجر ثمين أسود يحمل شعار الفرعون « امنمحت الثالث » هدية منه الى ملك جبيل « أبيشمو » الأول في القرن التاسع عشر ق.م ، وحجرة هذا الملك وتحتوي على آثار نفيسة من المعادن الثمينة ، وحجرة الملك « ابشموابي » الابن ، وفيها مرآته وأوانيه الذهبية والفضية والبرونزية ، وناووس الملك « حيرام » المزين بنقوش جميلة وعلى جوانبه كتابة فينيقية من القرن الثاني عشر هي أم الكتابات الأبجدية في العالم ، والناووس هذا موجود في المتحف الوطني في بيروت ، وساحة الأنصاب وكانت مليئة بالآثار النفيسة من الفؤوس الذهبية ومئات التماثيل الصغيرة ، والأسلحة البرونزية والعقود من الأحجار الكريمة ونواويس ملوك جبيل بعضها قائم فوق الحفرة التي كانت تضمه ، وباب نقش على مصراعه الأيسر اسم « رعمسيس الثاني » ، ومصكوكات باسم الاسكندر المقدوني ، وقطع أثرية جمة ، نقل بعضها الى متاحف باريس ، ولندن ، ونيويورك والآستانة .

ومعظم هذه التحف الأثرية وغيرها موجود في المتحف الوطني اللبناني ، موزعة في أروقة تحمل أسماء عديدة مثل : الأبجدية ، رعمسيس الجبار ، أشمون ، هيجيا ، جوبيتر .. وأبرزها قاعة كنوز جبيل .

هذه هي قصة جبيل وقلعتها .. ومن يزرها اليوم يقع نظره على أبنية تقوم على حجارة من الهياكل الفينيقية ، مدعومة بأجزاء من أعمدة الغرانيت الفرعونية ، مرممة بحجارة رومانية وبيزنطية وصليبية ، ومحسنة بفنون معمارية عربية تركية ■

نجاتي صدقي — بيروت

ابن خلدون
العالم والمعلم والفيلسوف

بقلم الاستاذ نجيب توفيق

عصر ابن خلدون

عاش ابن خلدون في الفترة الأخيرة من العصر المملوكي ، الذي يمتد من عام ٦٥٦هـ الى ٩٢٣هـ . وفي هذا العصر سقطت بغداد في أيدي التتر ، وفتح العثمانيون مصر ، فتحول تيار الثقافة الاسلامية من بغداد الى القاهرة وذلك لمطاردة التتر للحضارة والثقافة الاسلامية في العراق والشام .

وكان للموقف البطولي الرائع الذي وقفه المماليك في وجه التتر وارغامهم على التقهقر والفرار أثر كبير في انتفاضة اليقظة العربية . ومع أن سلاطينهم كانوا يجهلون اللغة العربية وآدابها ، الا أن صدورهم اتسعت للعلم والعلماء ، وأصبحت بلادهم معقل الاسلام فقربوا العلماء ، وشجعوا التأليف ، وبذلوا الأموال ، وعمرت خزائن الكتب في القاهرة ودمشق بالمؤلفات النادرة في العلوم والآداب والفنون ، وامتلأت المدارس والمساجد بطلاب العلم من الممالك الاسلامية المختلفة .

وفي آخر العصر المملوكي أخذت تدب في الامبراطورية الاسلامية عوامل الضعف والاضطراب ففي الأندلس مثلا لم يبق الا بنو نصر من ملوك الطوائف في غرناطة يقاومون الاسبان ، وتفككت أوصال دول المرابطين والموحدين في شمال افريقيا ، وانقسمت الدول البربرية الى امارات ومدن صغيرة .

حياته ونشأته

كانت أسرة ابن خلدون تعيش في أشبيلية ، وهي مدينة عظيمة تقع على نهر « الوادي الكبير » وقد بني فيها أول مرصد فلكي اسلامي ، بل أول مرصد في أوروبا بأكملها .

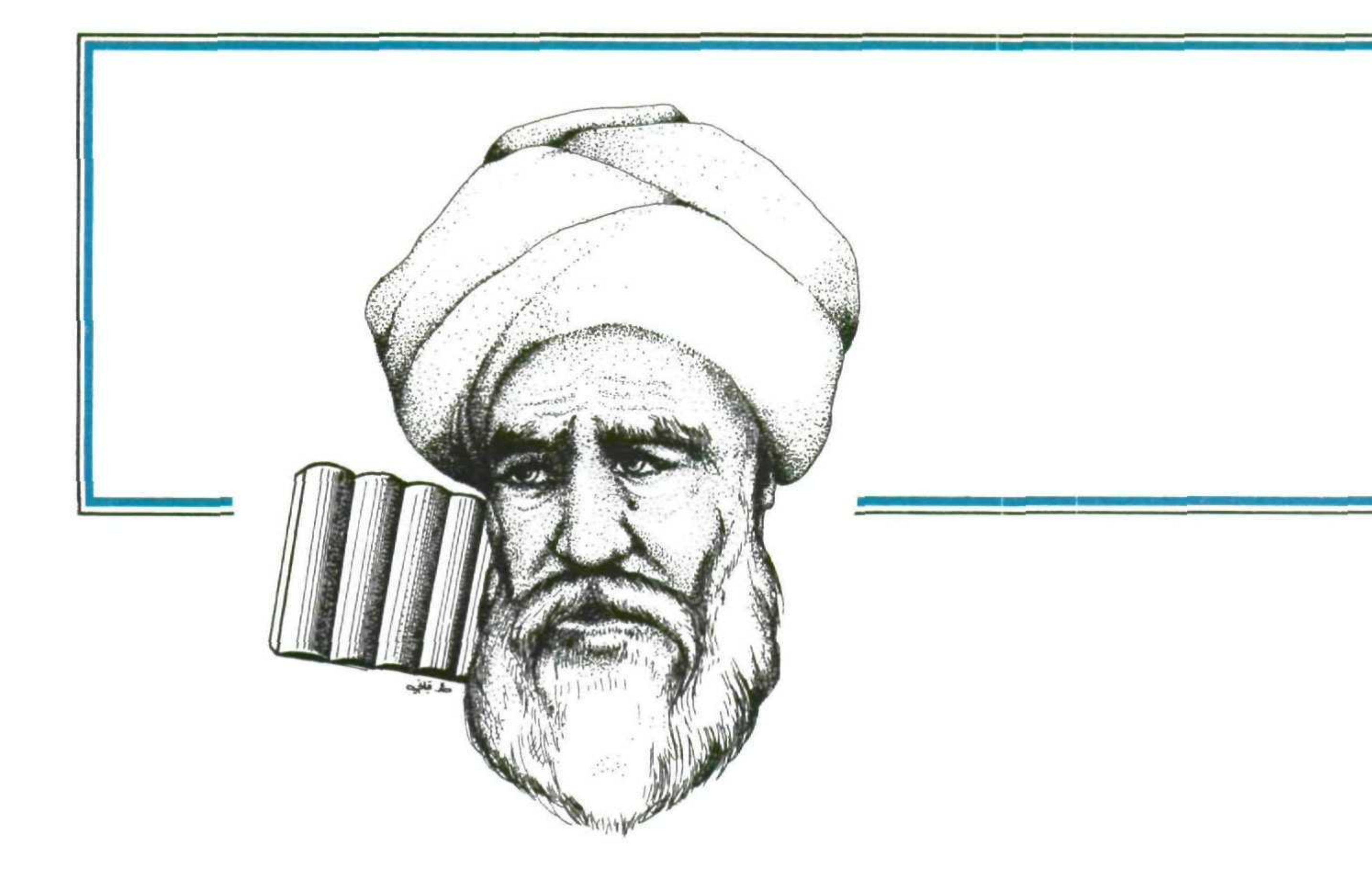
وعندما ضعف الموحدون في الأندلس وابتدأ الاسبان احتلالها ، رحلت أسرته الى « سبتة » وانتهى المطاف بها في تونس سنة ٧٣٢هـ.

وفي تونس ولد ابن خلدون وسط هذا الجو المكفهر الملبد بسحب الفتن والمؤامرات ، وشب في هذه البيئة التي لم تتوافر فيها عوامل الهدوء والاستقرار ، ولكن ذلك لم يشغله عن التعمق في الدراسات الدينية والعلوم العقلية .

وابن خلدون عربي الأصل ينتهي الى قبيلة يمنية ، هي وائل بن جحر من كندة بحضرموت ، ومنها بعض اقيال اليمن . ولذلك شب طموحا يميل لأن يكون في المقدمة . ولما دخل العرب الأندلس واستولوا عليها ، رحلت أسرة ابن خلدون الى هذه البقاع الجديدة جريا وراء السلطان والجاه . وكان أول عميد لهذه الأسرة بالأندلس « خلدون بن عثمان » الذي اتخذ « قرمونه » أول دار لها . ثم رحلت الأسرة الى « اشبيلية » حيث كانت لهم ضياع مخصبة . ولما أخذت دولة الموحدين في الضعف وقوي الاسبان ، انتقلت الى غرناطة ولكن ملوك بني الأحمر فقدوا ملكهم ، ووجدت الأسرة حياتها محفوفة بالأخطار فرحلت الى سبتة بالمغرب ثم انتقلت الى « بونة » في القرن السابع الهجري ، وعاد الى الأسرة نفوذها وجاهها في ظل بني حفص ، الى أن ولد هذا العلامة المشهور في مدينة تونس حيث كانت تموج بالعلماء والنازحين من الأندلس آنذاك .

ثقافته

تلقى ابن خلدون ثقافته الأولى على والده ، وحفظ القرآن ، وعرف الكثير من أصول اللغة والأدب والنحو ، وأجاد أصول الفقه على مذهب ابن مالك ، وقرأ التفسير والحديث ، وتعمق في الدراسات الفلسفية والمنطق ودرس الكلام على مذهب الأشاعرة . ولم يكد يبلغ العشرين من عمره حتى ظهر نبوغه ، فلحق ببلاط بني حفص وتولى منصب الكتابة للسلطان ابن اسحق صاحب تونس . ولكن عندما شبت الفتن



والاضرابات في العاصمة ، ترك ابن خلدون هذا المنصب وقصد الى « تلمسان » ثم « بجاية » ثم الى بلاد الأندلس واستقر عند ابن الأحمر ملك غرناطة ، فضمه هذا الى حاشيته ، واستخدمه في شئونه ، وبعثه سفيرا الى « بيدرو » ملك قشتالة وقد نجح في سفارته وأعجب به « بيدرو » وعرض عليه أن يقيم معه ، ولكنه رفض وعاد الى غرناطة . غير أنه لم يستقر بها لأن«لسان الدين بن الخطيب» وزير ملك غرناطة خاف على مركزه منه ، وحقد عليه ، واستطاع أن يوغر صدر الملك عليه فرحل الى « بجاية » ثانية واستقبله أميرها استقبالا حسنا ، الا أن الدسائس لاحقته ، ففر الى « فاس » . عندئذ ملّ ابن خلدون السياسة ومتاعبها ، وعكف على العلم ونزل ضيفا على « بني عريف » حتى عام ٧٨٠هـ. وفي هذه الفترة المريحة من حياته أتم وضع مقدمته التي طبقت شهرتها الآفاق .

ولم تطب نفس العلامة الطموح الى الراحة ، وخرج من دنياه الهادئة ، ولكن كان أعداؤه له بالمرصاد ، فأخذوا يدسون له من جديد ، ففر الى مصر مدعيا أنه يقصد بيت الله الحرام للحج . وركب البحر الى القاهرة عام ٧٨٤هـ في عهد السلطان برقوق الذي أكرم وفادته وأحسن لقاءه .

وكانت مصر آنذاك ما تزال مركز الثقافة الاسلامية ومهبط العلماء من جميع الأقطار العربية الاسلامية.

اشتغال ابْن خلدُون بالتعْليم

وما أن استقر ابن خلدون بالقاهرة حتى قام بالتدريس في الأزهر ، وكون له حلقة كبيرة من مريديه ومقدري علمه كالعسقلاني والمقريزي. وقويت صلته بالسلطان برقوق الذي ولاه قضاء المالكية وأسند اليه التدريس ببعض المدارس ، وتوالت توليته للقضاء والعزل ست مرات وحج بيت الله الحرام سنة ٧٨٩هـ .

ولم يخل ابن خلدون في مصر من حساد جدد أخذوا يكيدون له ، وفسد الجو بينه وبين ولي الأمر في الوقت الذي تأهب فيه أهله وبنوه للحضور الى مصر ، ولكن عصفت بهم العاصفة في البحر وحطمت الأعاصير سفينتهم وغرقوا جميعا . فحزن حزنا كبيرا واستقال من منصبه .

وقد صور ابن خلدون نبأ هذه الفاجعة المذهلة التي نزلت به ، فيقول :

« ... ووافق ذلك مصابي بالأهل والولد ، أبحروا من المغرب بالسفين ، فاعترضها قاصف من الريح ، فغرقت وذهب الموجود والسكن والمولود ، فعظم المصاب والجزع ، ورجع الزهد، واعتزمت على الخروج عن المنصب ... »

ولكنه ظل منقطعا للتدريس والتأليف وخدمة العلم حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ .

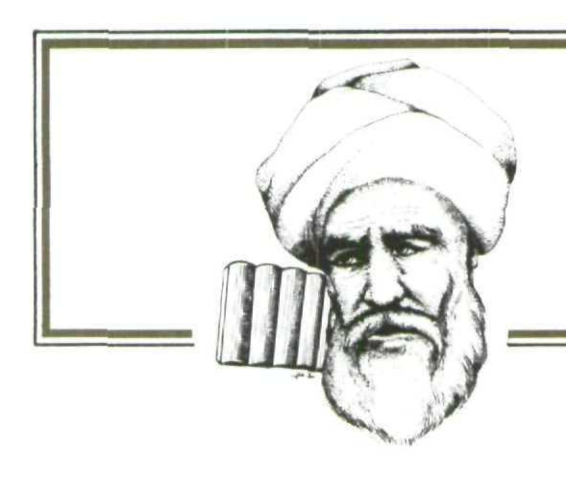
صِفَاتُه وَأخلاقُه

أنصف « لسان الدين بن الخطيب » صديقه القديم عندما رسم له صورة دقيقة تعبر عن شخصيته تعبيرا صادقا ، وان كان هذا الوزير هو الذي أوغر صدر أمير غرناطة عليه . واعترافه هذا خليق بالتقدير ، وفيه أبلغ دليل على ما كان عليه ابن خلدون من فضل وحياء ، وخلق وإباء ، وعلم واطلاع ، فقال :

« ... كان ابن خلدون رجلا فاضلا حسن الخلق ، جم الفضائل ، صعب المقادة ، متقدما في فنون عقلية ونقلية ، سديد البحث ، كثير الحفظ ، حسن المعاشرة .. »

عِلمُه وَأدبُه

عاش ابن خلدون في عصر حافل بالأحداث والفتن والاضطرابات السياسية مما عطل منابع الثقافة والمعرفة واقفار رياض الأدب . وفي وسط هذا الظلام الدامس كان ابن خلدون نجما ساطعا



واماما حكيما في التاريخ ، وعالما كبيرا في الاقتصاد ونواميس العمران والاجتماع .

ولا شك في أنه كان شخصية لامعة ممتازة ، تتمتع بعقلية جبارة وقريحة متوقدة وذكاء خارق وذهن حاضر ونظر صائب ثاقب . هضم علوم الأقدمين وأخرج منها الشيء الكثير الجديد ، تظهر منها آراؤه الحصينة ، وشخصيته العلمية القوية وأفكاره النيرة الجديدة .

وكانت عقليته العملية ، وحياته السياسية ، ومعرفته بشئون العالم الاسلامي ، وتنقله في الأقطار الاسلامية بالمغرب والأندلس ومصر والشام والحجاز ، واتصاله بأحوال هذه البلاد اتصالا قويا ، وحياته التي امتزجت بكثير من التقلبات السياسية ، واحاطته التامة بمختلف النظريات الفلسفية التي عرفها المسلمون ، كل هذه العوامل والظروف والمعارف المختلفة التي أحاطت به ، ساعدته ولا شك على أن يضع فلسفة جديدة موضوعها « المجتمع وتاريخه » ، وهو أساس علم الاجتماع ، وزيادة على هذا التفوق العلمي والفلسفي . صاغ ابن خلدون آراءه صياغة أدبية بأسلوب من الفن الأدبي الأصيل .

مؤلفات

ألف ابن خلدون مؤلفات مختلفة في المنطق ، واختصر فلسفة ابن رشد ، وألف في الفقه والرياضة والأدب . وأشهر هذه المؤلفات كتاب « العبر ، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » .

والجزء الأول من مؤلفه الكبير المعروف بـ « المقدمة » الذي نال به شهرته ، وذاع صيته ، وقد قسمه الى مقدمة في فضل علم التاريخ ثم الى فصول خمسة تناول في الأول منها العمران البشري وأصنافه ، وفي الثاني العمران البدوي وذكر القبائل والأمم الوحشية ، وفي الثالث الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية وفي الرابع العمران الحضري والبلدان والامصار ، وفي الخامس الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه وذكر المراتب وتعلمها .

وفي هذا التقسيم ما يدل على دقة العرض ، وبراعة التنسيق والترتيب مع الغرض المنطقي ، والتماسك القوي بين هذه الموضوعات ، والاتصال الفكري وتسلسله مما يشهد بتفوقه وعبقريته الفذة وقدرته على البحث والاستنباط والترتيب .

آراء ابن خلدون وعلماء الغرب

كان ابن خلدون صاحب نظريات وآراء طريفة لم يصل اليها علماء الغرب الا بعد سنين طويلة ، فقد تكلم عن الدولة والملك بافاضة ، كما تحدث عن فلسفة التاريخ مشيرا الى ما للظواهر من أثر في حياة الانسان وأخلاقه قبل أن يظهر الفيلسوف الفرنسي « كونت — Conte » صاحب علم الاجتماع الحديث . وابن خلدون هو الذي قرر أن للبيئة والتطور أثرا في حياة الكائنات في هذا الوجود .

ومن آرائه المتقدمة التي سبق بها غيره . « ان المغلوب مولع دائما بتقليد الغالب في شعاره ورأيه ونحلته وسائر أحواله وعاداته » . وقد استعار بعض علماء الاجتماع الفرنسي الكثير من آراء ابن خلدون النيرة التي منها : « ان وجود الجماعة أمر واقع ملموس ، وان هناك صلة بين عدد الجماعة وثروة القطر ، وان البحث الاجتماعي تنبسط أطرافه من ناحية التاريخ على جميع الأمة من التأنس والعصبيات وأصناف تقلبات البشر بعضهم على بعض » .

ابن خلدون .. الفيلسوف والمربي

ان آراء ابن خلدون في التربية الاسلامية تكمل حلقة عظيمة الأهمية في تاريخ هذه التربية ، ويرى أنها تستهدف اعداد رجال يستطيعون أن يعيشوا عيشة جيدة سعيدة ، وهي مستوحاة من السياسة الحكيمة التي رسمها القرآن الكريم .

أما رأيه في التنظيم للمناهج الاسلامية ، فيرى أن اقتصار أهل المغرب وافريقية على دراسة القرآن للناشئين يجعلهم قاصرين عن بلوغ الملكة الانشائية في التعبير عما في النفس ، لأنهم يحفظون الولدان فقط من غير تفهم لأساليب القرآن الكريم بالقدر الذي يتناسب مع استعداداتهم ، وهو الذي كان متبعا في الكتاتيب المصرية ، وهو على عكس أهالي شمالي أفريقية الأندلسيين الذين يخلطون مع القرآن المجيد دراسة العربية وفنون الشعر والنشر والخط الذي مهروا فيه ، وكان لهم ، الى جانب ذلك ، أدب بارع ولسان فصيح ، وملكة انشائية مبدعة . ويرى أن المنهج العالمي لطالبي العلم يقسم العلوم التي هي مواد هذا المنهج الى قسمين :

١ — علوما مقصودة بالذات ، وهي العلوم الشرعية من فقه وتفسير وحديث وكلام وطبيعيات وفلسفة .

٢ — علوما غير مقصودة بالذات ولكنها تتخذ آلة للمهارة في العلوم السابقة كالعربية والحساب والمنطق ، ويرى التوسع في تعليم علوم القسم الأول وتفريع مسائلها في استيعاب وافاضة ، والاحاطة بدقائقها .

وأما علوم القسم الثاني فيرى أنه لا ضرورة الى التوسع فيها بالقدر الذي يعين على فهم المقاصد ، ولذلك يحمل حملة على العلماء الذين يتوسعون في علوم الآلات ويعد ذلك انحرافا عن الغاية .

هذه نبذة عن المؤرخ الفذ والفيلسوف العبقري « ابن خلدون » صاحب المقدمة المعروفة التي طبقت شهرتها الافاق ■

نجيب توفيق — القاهرة

في الغُربة

للشاعر طاهر زمخشري

أنا في غُربتي أهيمُ بفكرِي حيثما أنتَ .. يا سنَا الحيران
يَا نعيمَ الحياةِ ، يَا بلسمَ الملتاعِ ، يا معزَفي لأحلى الأغَاني
وغبارُ السنين يَملأ عَيْنَيَّ ، وكحلُ السهادِ في أجْفاني
أتدانى الى حماك باشوا قي ، وأهفو بلهْفَةِ الظمْآن
فاذا ما غفوْت أنت بأحْلا مي ، وفي الصحو غنوةٌ في لساني
ألف طيفٍ يحومُ حوليَ بالذ ّكْرى وأفوافُها شغوفُ الأماني
والرّبى تضحَكُ الأزاهيرُ فيها وتَروِي بعِطْرِهَا وجْداني
وأنَا كالفراشِ أستنشِقُ العطرَ ، وأشْدُو مِن فَرْحَتي للتّداني

* * *

أنا في غُرْبَتي ، وأظْمأ بالشو قِ ، وكَأسي تفيضُ بالحِرْمان
وبعَينيّ غشاوةٌ تحجبُ الضو ء ، وقلبي يذُوبُ مما يُعاني
تتَرامى بيَ الدّرُوبُ على التيهِ ، فلا يعْرِفُ الظّلامَ مكاني
وعلى خَافِقي زوافرُ تَتْرى وتُذيبُ الشّغافَ فِي الخفَقان
فبِمَنْ أقتَدِي ، ومالي على البُعْدِ سِوَى ذَوْبِ خَافِقي الغصّان ؟!
والخريفُ المنهوكُ يزْحفُ باللّوْعةِ عبْرَ الأنينِ فوقَ الثّواني
باشْتِياقي اليكَ ، بالحِيرةِ الثّكْلى ، بما في الضّلوعِ منْ نيران
في خِضَمّ أثْبَاجُه لهبُ الشّوقِ ، وتَيّارُه صُروفُ الزّمان
والمَجاديفُ في عَميقٍ من اللّجّةِ تَلْهُو ، بِخافِقِي وجَنَاني
والسرى طال واستطال ولكن أنت للروحِ مرْفَأ للأمان

* * *

أنَا في غُرْبَتي .. بخُضْرِ رواب وردُهَا راقصُ الرّؤى بالحنان
كلّما هزّني اليْكَ اشتياقٌ غمَرت بالعَبيرِ جوّ المكان
ومنَ السّحبِ هاطلٌ يتنزّى ويصبّ الرذاذَ في الأغصان
وأنا تَحتَ مِعْطَفي .. لاهثُ الأنفاسِ .. مما أحسّ منْ غلَيان
مِن حريقٍ بِمُهْجَتي يتَلظّى وبعيني مِنْ نَارِهِ جمرتان
جمرةٌ تحملُ السّهاد وأخرى نافسَت باللّظى نَدَى الهتّان

* * *

وعجيبٌ أن يُشْعِلَ البَرْدُ نارا وقْدُها زادَ لاعِجَ الحَرّان
فاذا ما ذكرتُ ... ياليت لا ترحَلْ طافتْ بيَ الرّؤى في المغَاني
وبِبرْدِ الرّضا تمدّ رواقاً مخمليّ الشّكولِ والألْوان
وعلى رفرفٍ من الشّوْقِ خفا قٌ يُنَاجِي بأيْكَةِ غُصْنَ بان
فاذا باللّقاء يَحْلو مع البُعْدِ بدُنْيا يجوبُها غردان

طاهر زمخشري – جدة


فى انتظار الحل
بقلم السيدة صوفي عبدالله

قصة قصيرة

الإصابات عميقة .. البتر لا بد منه .. غيبوبة تلاحقه وسط ساعات الصحو الأليمة .. غيبوبة تتخللها أهوال الصراع الدموي .. ولكن احساسا بالرضى يسري في أوصاله ، فيبعث دفئا في مسرات أطرافه . قبل أن يفقد وعيه استطاع أن ينقذ سرية من هلاك محقق .. ونجوا عن آخرهم بعد أن ضحى هو بحياته .

ضحى بحياته ؟ اذن فما هذا الذي يحسه من حوله ؟

ولكن ! كيف نجا ؟

وبجهد فتح عينيه .. فتح عينيه ليرى الدنيا مرة ثانية .. ليحس أنه على قيد الحياة حقا وصدقا ، وليس ما يستشعره « أضغاث أحلام ..! » .

ومن خلال نظرته المتعبة رأى وجوها كثيرة .. كلا ! هذه ليست وجوها بل عيون ... فالبياض يخفي كل شيء الا العيون : عيون تترقب .. وعيون قلقة .. وعيون متألمة .. ولكنها كلها عيون يقظة .. ما كل هذا الذي يراه ؟

همهمات تصل الى أذنيه ..

ها هو ذا يسمع أيضا !

الحمد لله .. السمع أيضا لم يفقده .. كل شيء بعد هذا يهون ..

وبدأت العافية تدب في أوصاله بعد أن رأى زجاجة البلازما معلقة أمامه ، وأحس بسريان الدم في ذراعه ..

وأزاح الأطباء الأقنعة البيضاء ، وصاح كبيرهم وهو يخرج زفرة طويلة ، وعيناه تومضان ارتياحا .

— أخيرا ...

عشرة أيام وهو فاقد الوعي . استمات الأطباء في انقاذه من الخطر .. عشرات من زجاجات البلازما أعطيت له .. جراحات شتى أجريت له .. لم ييأسوا ... وبعد عذاب ممض فقدوا الأمل في نجاته .. ولكن في العمر بقية .. وها هوذا يعود الى الحياة .. ومرة أخرى سيرى « أمل » .. صغيرته الحبيبة .

— الحمد لله على سلامتك ..

لم يكن يسمع سوى هذه الكلمة من كل طبيب يمر به .. فأدرك الى أي حد كانت حالته من الخطورة .. والى أي مدى بذل الجهد في انقاذه ..

وأحس استرخاء أشبه بخدر النعاس يستولي على كل جارحة فيه .. لا بد أنه مفعول الحقنة المخدرة . ولكن نقطة في وعيه لم تزل ساهرة تكافح الكرى ..

وكان مساء .. وكان صباح يوم جديد ..

ومع النور ، وحرارة الحياة ، بدأت « طلعات » الأصدقاء ..

ها هم اخوانه في السلاح والكفاح يتناوبون السؤال عنه بعيون متلهفة وقلوب تفيض بالود .. كل يوم يرى عشرات من الزوار لم يسبق له معرفتهم .. الكل يسأل ويتمنى الشفاء حتى خيل اليه أن ما من أحد يزور المستشفى الا ويمر عليه ..!

وأتخمته الهدايا حتى لم يعد يجد لها مكانا .

أقارب الجرحى الآخرين وأصدقاؤهم يمرون عليه ويحيونه وكأن صداقة قديمة تربطه بهذه الوجوه التي لم يرها من قبل ...

جميل أن يحس الانسان أنه قام بعمل يقدره الناس ... حتى الذين لا يعرفهم ..

ولكن أين صغيرته « أمل » ؟ وأين زوجته ؟ لماذا لا يراهما مع كثرة من يرى ؟!

— ليس الآن !

قالها الطبيب وهو يحاول أن يربت كتفه بلطف ، فكل ما فيه مغطى بضمادات .. الطعام يوضع في فمه بيد ممرضة .. وكذلك الشراب ..

— أليس من الأفضل أن ترياك وأنت على حال أحسن من هذه ؟

أخيرا جاء اليوم الذي فكت فيه بعض ضماداته وسمح له أن يجلس على كرسي ذي عجلات .

كانت فرحته لا حد لها .. فقد تقدم الطب بحيث يمكن أن يركبوا له ساقا أخرى بدل التي فقدها .. أما ذراعه اليسرى فقد قيل لـــه أن علاجها ميسور بعد عدة جراحات .. واليمنى كل ما بها كدمات تحتاج الى تدليك وجلسات كهرباء .. أمرها سهل !

ولكنه يريد أن يرى وجهه .. أن يرى مدى التغير الذي طرأ عليه .. ينبغي ألا تراه « أمل » على صورة لا يرضاها لنفسه ..

لشد ما تغير ! لشد ما أصابه الهزال . لشد ما تغير وجهه الوسيم فأصبح دميما مغضنا . شاحبا كوجوه الموتى . !

كلا لن يسمح لأمل بأن تراه وهو على هذه الحال .. عليه أن ينتظر .. ولا زوجته أيضا يجب أن تراه ..

— انها أيام .. أيام معدودة .. وتعود الى حالتك الأولى .. عليك فقط أن تأكل كل ما يقدم لك لتسترد عافيتك .

هكذا قال له الطبيب المعالج ..

ولكن الأيام تمر .. والمستشفى يكتظ بالزوار وفي كل حجرة يرى الزوجات والأطفال .. والضحكات تدوي .. وصياح الأطفال يملأ الممرات .. والكل ينعم بسؤال الأهل والأقرباء .. وتتندى عيناه بالدمع .. وتمتلئ جيوبه بقطع الشكولاته كلما دفع صديق كرسيه ذا العجلات للسؤال عن جريح .. فهذه القطع يحتفظ بها لأمل ويشعر بوقع نظرات العطف من خلفه تشع من عيون الزوجات والأمهات .. ويشيع بسيل من الدعوات ..

يوم آخر من أيام الزيارة .

لقد بات يعرف تلك الأيام جيدا ويميزها بين الأيام التي تمر متشابهة في المستشفى .. ففي يوم الزيارة كل شيء يلمع .. وعلى الجدار المنخفض الذي يفصل دهليز عنبر الجراحة عن دهليز عنبر العظام يبرز « قرقول شرف » عبارة عن طابور من الزهريات المتشابهة . كأنها جنود في كسوة رسمية موحدة .. وفيها أزهار متشابهة « التشكيلات » من أبدع الأزاهير وأنضرها ..

وفي ركن الدهليز جثم على كرسيه ذي العجلات يرقب أوائل أسراب الزوار .. ويرنو الى الأزهار الجميلة التي تصافح العين من ارتفاعها في شموخ ..

مع الزوار أولاد وبنات ..

ترى متى يرى ابنته .. أمل ؟

الصغار لا يطيقون المكث طويلا داخل الحجرات .. سرعان ما يخرجون الى الدهليز .. ويرقب حركاتهم وعيونهم اللامعة من ركنه في سرور صامت ، ويتخيل « أمل » تلعب معهم ذات يوم ..

ورأى ولدا لعله في السابعه أو أصغر قليلا ، يقف قبالته وعيناه تلمعان كالماس الأسود ، يتطلع اليه بامعان ، وهو واقف على رجل واحدة يدق الأرض برجله الأخرى ..

وفجأة وبدون أن يتسع الوقت للتفكير ، استدار الولد خلفه وأخذ يدفع كرسيه المتحرك بسرعة الصاروخ نحو الحائط ..

ودار كل شيء في رأسه ، كأنما تجمعت داخله خليه من النحل البري .

ذراعاه أوهن من أن تستخدما « مانعة تصادم » مع الحائط .. أما رجلاه ؟! أي مهرب له وقد أصبح ألعوبة في يد طفل عابث . ؟!

واحتبست في حلقه الصرخة ، وقد جمدته برودة العجز اليائس ..

أهذا كل ما تبقى مما يسمونه بطولة ؟ ما أهون كل شيء ! .

ترى ماذا أوقف اندفاع العجلات قبل ارتطامه بالحائط ببضعة سنتيمترات ؟!

والتفت خلفه ليرى ماذا عاق الولد عن جنونه الطائش ؟ أتدخل أحد في آخر لحظة ؟

الولد يتحرك بكل هدوء وحده .. ليس معه أحد .. لا ينظر اليه .. بل يقيس بعينيه شيئا .. ثم يضغط على شفته السفلى ويأتي بكرسي يضعه بجواره ...

لماذا اختار أن يجلس بجواره هنا ان كان الجلوس بجواره ما يريد ؟ ولكن الولد لا يجلس !

انه يتسلق الكرسي ، يقف فوقه ، ويشب على أصابع قدميه لتصل أنامله الى زهرة بيضاء في احدى الزهريات .. ويستدير فيقدمها اليه .. ولا يقول شيئا ..

وفاض الارتياع المكبوت عرقا على جبينه .. وتنفس الصعداء .. وأدنى أنفه من الزهرة اليانعة يلتمس في عطرها العزاء ..

ما أعجب قدرة الانسان .! من البلاستيك كانت الزهرة . ! ولكنها ذات نضرة لا تذبل !

هذا أفضل ! سأحتفظ بها مع الشظايا التي أخرجوها من ساقي !

وتلفت يلتمس الولد ، فهو يستحق أن يشكره على كل حال . لم يدر بذهنه أن حماسته المندفعة يمكن أن تفزع « بطلا » ..

ولكنه وجد الولد قد اندفع في اللعب مع رفاق جمعتهم به الصدفة ..

.. يوم زيارة أعقبته أيام ..

وأخيرا .. ذات صباح قال له الطبيب بنظرة مرحة :

— مبروك يا عم ! اليوم تستطيع أن ترى أسرتك.

ومنذ الصباح الباكر طلب أن يحلق ذقنه .. وتضمخ بماء الكولونيا .. ولبس « بيجامة » نظيفة ناصعة البياض .. وفي ممرات المستشفى راح يجري بكرسيه مستعينا بيده السليمة ، مطوحا بها في الهواء ووجهه يطفح بشرا ..

بعد لحظات ستكون « أمل » بين ذراعيه .. يضمها الى صدره بعنف حتى تصرخ في مرح كما كان يفعل معها دائما ..

وفطن الى ذراعه الراقدة الى جوار جسده لا يستطيع حراكها .

كلا ! لن يراوده الحزن فبذراعه الأخرى القوية يمكنه أن يضمها كأعنف ما يضم أب صغيرته الجميلة .. !

ها هي ذي الدقائق تمر .. لم يبق على موعد الزيارة سوى لحظات .. ترى كيف ستستقبله الصغيرة ؟

وبدأت دقات قلبه تعنف .. وأحس بشجاعته تخونه ..

وأسرع الى المرآة يسألها عن مدى تغيره .. لن تستطيع أن تصدقه القول .. فقد اعتاد رؤية نفسه أسابيع طوالا ..

.. سيغمرها بعلب الشكولاتة .. سيملأ حجرها وجيوبها ويستمتع بضحكاتها البريئة الملائكية وهي تعبث بيديها الصغيرتين منتشية بكثرة ما حولها من حلوى ..

وأفاق على صوت حذاء .. حذاء يعرف دقاته بين آلاف الأحذية .. وأرهف أذنيه .

هذه زوجته تسرع الخطو .. وبجانبها خطوات صغيرة .. خطوات أمل ..

واعتدل في جلسته وعيناه على باب الحجرة .. ولوجيب قلبه صوت أحسه كوقع حذاء جندي على أرض مرصوفة ..

وظهرت زوجته بقامتها الهيفاء تدفع الطفلة أمامها في اشراق أبلغ من الحزن .. وما أن وقع نظر الصغيرة عليه حتى تصلبت في مكانها كأنها سمرت في الأرض مرتكزة بظهرها على ساقي والدتها والفزع يملأ عينيها ، وقد أطبقت شفتيها القرمزيتين في عصبية لتمنع صرخة كادت تفلت منها .. ولم تفلح والدتها في تهدئة روعها ، أو في حثها على التقدم خطوة واحدة .. ولا أجدت كلمات التدليل والاغراء بعلب الشكولاتة في زحزحتها من مكانها..

وتركتها أمها عند الباب ، واندفعت اليه تعانقه وتناديه بالأسماء التي اعتادت أمل أن تناديه بها .. وهي تضحك ضحكات هستيرية تاركة لدموعها العنان دون أن تشغل نفسها بتجفيفها ..

ونثر قطع الشكولاتة فوق الفراش وراح ينادي أمل بأعذب الألفاظ ، ويذكرها بما كان بينهما في آخر لقاء .. والطفلة ترمقه وتتبع حركاته في توجس ..

ألى هذا الحد انقلبت سحنته حتى أنكرته الطفلة ؟ ! والكبيرة ؟ ألا تستطيع التغلب على دموعها ؟ !

وطأطأ رأسه .. وأفلتت من عينيه دمعة أحسها على يده المنطرحة في حجره كلسعة الجمر ..

وفجأة أحس بيدين صغيرتين تطوقان رقبته ، وشفتين نديتين تلتصقان بخده .. وأنفاس صغيرة تلفحه ..

ومد ذراعه .. وطوق الجسم الصغير اللدن .. بكل الحنان والشوق والحب . وراح يتشمم رقبتها ورأسها وكل جسدها بعنف كغريق نجا من موت محقق وقد فتح رئتيه يملؤهما بعبيرها ■

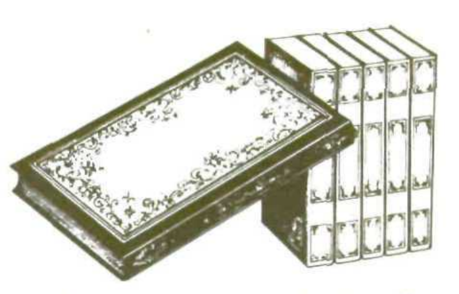
صوفي عبد الله — القاهرة

الاستاذ عدنان مردم بك يمنح لقب « بروفوسور »

قررت الجمعية الاستشارية العالمية المنبثقة عن اليونسكو لأسبوع الكتاب الصوفي العالمي المنعقد في « بونوسيرس » عاصمة الأرجنتين فيما بين ٢٣ و ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٢ ، قررت منح الأستاذ الشاعر عدنان مردم بك لقب « بروفوسور » على مسرحيته « رابعة العدوية » التي فازت بالجائزة الثالثة من جوائز الكتاب الصوفي العالمي .

ان « قافلة الزيت » اذ تحيي هذه الوثبة الأدبية يسرها أن تشارك الشاعر الكبير خالص التهنئة وترجو له مزيدا من التقدم في مدارج العلم والمعرفة ■

أخبار الكتب



صدرت مجموعة من المعاجم الجديدة المعينة للنقلة والمترجمين منها معجم قانوني انكليزي عربي من تصنيف الأستاذ ابراهيم عبد الوهاب ونشر مكتبة لبنان و « القاموس الفريد في العصر الجديد » وهو معجم لغوي فارسي/عربي صنفه الشيخ أحمد النجفي وطبع في طهران ، و « معجم المصطلحات الادارية » انكليزي/عربي وقد ترجمه الأستاذ نبيه غطاس وصدر عن مكتبة لبنان .

ويصدر قريبا قاموس صيني/عربي من تصنيف الباحث العراقي الشيخ جلال الحنفي .

※ استأنفت « سلسلة الثقافة الاسلامية » باشراف الأستاذ محمد عبد الله السمان ، صدورها بعد احتجاب طويل فأصدرت حلقة جديدة للكاتب الهندي الدكتور محي الدين الألوائي عنوانها « الاسلام والقضايا الانسانية » نشرتها مكتبة المتنبي بالقاهرة .

※ ومن الدراسات الاسلامية التي صدرت أخيرا « مختصر زاد المعاد للامام ابن قيم الجوزية » من تأليف الامام محمد بن عبد الوهاب ، وقد نشرته الشركة المتحدة للتوزيع في بيروت ، وكتاب « أربعة عشر قرنا مع القرآن الكريم » للأستاذ عبد الخالق سيد أبو رابية ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، و « هذا هو القرآن وهذا هو الاسلام » للأستاذ أحمد يوسف أحمد ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، و « الاسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي » للدكتور حسن أحمد محمود ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « الدين عند الله » للأستاذ عبد الرحيم فودة بمقدمة لفضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقوري ونشر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

※ و « الاسراء والمعراج » للدكتور عبد الحليم محمود ونشر دار الشعب .

※ أصدر العلامة الأستاذ علي أدهم ترجمة وافية للقائد العربي « عبد الرحمن الناصر » درس فيها حياته وفتوحاته ومنجزاته دراسة بصيرة وأنصفه أجمل انصاف . وقد صدر الكتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في سلسلة « أعلام العرب » .

※ ومن كتب السيرة التي صدرت حديثا « السيدة زينب رضي الله عنها » تأليف الأستاذ محمود الشرقاوي ونشر دار الشعب ، وكتاب « ذكرى العودات : البدوي الملثم » وقد صدر في عمان عن لجنة تأبين هذا الفقيد الراحل .

※ ويصدر قريبا في بغداد كتاب كبير عن العلامة الجغرافي الشهير « الشريف الأدريسي » من وضع الباحث المكين الدكتور أحمد سوسة ، وهو ثاني كتاب يصدر عن هذا العالم الجغرافي ، اذ سبقه كتاب نفيس للأديب الكبير الأستاذ محمد عبد الغني حسن .

※ من الكتب العلمية التي صدرت أخيرا هذه المجموعة : « علم الكميات والمواصفات للانشاءات المعمارية » تأليف المهندس حامد مختار ونشر مكتبة النهضة المصرية ، و « مقدمة في علم الهندسة الزراعية » للأستاذ محمد عبد الخالق دراز ونشر دار المعرفة ، و « أساليب انتاج الصلب » تأليف المهندس سعيد عبد الغفار ونشر الهيئة العامة للكتاب ، و « اللحام اليدوي بالقوس الكهربي ومعدلاته » تأليف المهندس يسري محمد يسري وتقديم الدكتور أنور عبد الواحد ونشر مكتبة النهضة المصرية ، و « تكنولوجيا تشغيل المعادن والقياس الدقيق » تأليف الأستاذ محمد عبد المنعم منصور ونشر مكتبة الانجلو المصرية ، و « علم الصخور » للدكتور سلامة طوسن وآخرين ونشر دار المعرفة ، و « العقود والمواصفات للمنشآت الهندسية » للدكتور محمد عبد الحميد جودة ونشر الهيئة العامة للكتاب ، و « الثروة الحيوانية » للأستاذ جليل أبو رجيلي ونشر المكتبة العصرية ببيروت ، و « مقدمة الى علم الكومبيوتر » تأليف المهندس عبد الرحمن بصيلة ومراجعة الدكتور يحيى الحكيم ونشر الهيئة العامة للكتاب .

※ في الفنون بأنواعها صدرت طائفة من الكتب منها « فنون الشرق الأوسط القديمة » للآنسة نعمت اسماعيل سلام ونشر دار المعارف ، و « فن الممثل العربي » للأستاذ زكي طليمات ونشر الهيئة العامة للكتاب ، و « الفن في حياتنا اليومية » للأديبة فايقة حنا ونشر مكتبة الأنجلو ، و « نظرية العمل في تدريس الفنون » للدكتور لطفي محمد زكي ونشر دار المعارف ، و « فن صياغة الحلي » للأستاذ عادل غبريال ونشر « كتابات معاصرة » .

※ صدر للأديب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم كتاب عنوانه « رحلة بين عصرين » يعالج فيه قضايا الشباب في جيلين ، وقد صدر الكتاب عن دار الكتاب الجديد .

ومن الكتب التي تعالج المشكلات النفسية بأبعادها المختلفة كتاب « دراسات مقارنة في مشكلات المراهقين في المدن والريف » للأستاذ خليل ميخائيل معوض ونشر دار المعارف ، و « مذاهب علم النفس المعاصر » للدكتور علي زيور ونشر دار الأندلس ، و « علم النفس والأدب » للدكتور سامي الدروبي نشر دار المعارف .

※ صدر لأستاذ النقد الأدبي والبلاغة الدكتور بدوي أحمد طبانة كتاب جليل عنوانه « قضايا النقد العربي » عالج فيه أربعا من قضايا النقد هي قضايا الوحدة الفنية للقصيدة والالتزام ومعاني الأدب بين الوضوح والغموض وقضية الاطار والمضمون . وبعد أن استقصى الدكتور طبانة جميع أوجه هذه القضايا ، أفضى في كل منها بصريح الرأي استنادا الى قواعد النقد الأدبي قديمها وحديثها . وقد صدر هذا الكتاب عن معهد البحوث والدراسات العربية .

وتصدر قريبا طبعة ثالثة من كتاب « الأدب المقارن » للأستاذ نجيب العقيقي يتناول فيها بتوسع وافاضة تاريخ الآداب العربية والافرنجية ، ويؤرخ للمدارس الأدبية المختلفة ويروي سير أدباء الغرب والأدباء العرب في القديم والحديث . والمتوقع أن تربي صفحات الكتاب على ألف صفحة .

※ صدر ديوانان جديدان هما « من أين يجيء الحزن » للشاعر البحريني الأستاذ علوي الهاشمي وقد نشرته دار العودة ، و « ضفاف الهوى » للشاعر الكويتي رضا الفيلي بمقدمة للأستاذ محمد عفيفي وقد طبع في مطبعة حكومة الكويت .

كما تصدر قريبا المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر هارون هاشم رشيد ■

كُتُبٌ مُهْدَاةٌ

حظيت مكتبة القافلة مؤخراً بالمؤلفات التالية :

※ « القانون والعلاقات الدولية في الاسلام » تأليف المحامي الدكتور صبحي محمصاني ، عضو المجامع العلمية العربية .. وهو يبحث في تطور التشريع الاسلامي ومصادره ، وفي نشوء المذاهب الفقهية وكذلك في مصادر التشريع الاسلامي .. والكتاب مقسم الى أبواب وفصول ومزود بثبت بالمراجع العربية والأجنبية التي اعتمدها المؤلف . وهو يقع في نحو ٣٠٠ صفحة من الورق الصقيل ، وقد نشرته دار العلم للملايين في بيروت .

※ الجزء الأول من « ديوان صيدح » وهو طبعة جديدة للشاعر المهجري الكبير جورج صيدح .. اشتملت على عشرات القصائد الجميلة التي نظمها في مختلف المناسبات .

※ « مجلة مركز الدراسات التكميلية » وهي مجلة ثقافية علمية تعنى بمختلف البحوث والمواضيع التربوية ومزودة بالعديد من الصور التي تعكس حجم النشاطات التي يمارسها الدارسون في المركز .. وتصدر المجلة سنويا عن وزارة المعارف في الرياض ..

※ « عواطف وعواصف » وهي مجموعة أقاصيص للاستاذ محمد طاهر فلمبان .

※ العدد الأول من رسالة « الكلية » وهي مجلة شهرية تعنى بالشؤون الثقافية والدينية والعلمية ، ويتولى تحريرها اللجنة الأدبية لرابطة الطلاب في كلية البترول والمعادن في الظهران .

※ الجزء الثالث من المجلد السابع والأربعين لمجلة « مجمع اللغة العربية بدمشق » وهي تصدر في أربعة أجزاء سنويا .. وتشمل بحوثا قيمة تهدف الى خدمة الفكر والثقافة العربية ■

جاء في التعقيب الأخير للصديق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، قوله نقلا عن المعاجم التي رجع اليها ما يلي بحرفه : في العصور التالية – للتاريخ القديم – أصبحت كلمة « Moor » ، تشير الى من هم مزيج من عنصري العرب والبربر ، الذين يشكلون معظم سكان شمال غرب افريقية الذين فتحوا اسبانيا في القرن الثامن الميلادي » .

وبناء على هذا التعريف يصح للمترجم أن يقول في ترجمة « Moor » مغربي أو عربي ، كما ورد في سياق مقالنا ، وكما أشار اليه تعقيب صديقنا المستفيض . واذن ، فلا خلاف بيننا الا أني أخذت الكلمة بمعنى « عربي » ، وأخذها الصديق بمعنى « مغربي » ولكل منا الحق في ما ذهب اليه باجازة من المعاجم نفسها . ولكن الظاهر أن الصديق عزّ عليه خلافي له ، ولعله قام بنفسه أني ما اخترت تفسير الكلمة الأجنبية «Moor» بمعنى « عربي» الا بدافع عاطفي يروق في عين المواطنين العرب الذين أكتب لهم . وأنا أبادر فأقول بادىء ذي بدء أني لا أجد في ذلك ما يعيب الكاتب العربي على الاطلاق ، فما بالك اذا كان لديه على ما يكتبه الأسانيد المؤيدة .

ومن القرائن المؤيدة ، أن هنالك من ارتأى مثل رأيي من غير العرب مثل الشاعر الفرنسي الكبير «ألفريد دي فيني – Alfred de Vigny » الذي احتفظ في عنوان ترجمته الشعرية لتراجيدية شكسبير بما يقابل كلمة « Moor » في اللغة الفرنسية وهو « More » ، ولكنه استعمل في ترجمة النصوص نفسها ما يدل على مفهومه لذلك اللفظ في قوله « هذا العربي – Cet Arabe » . والى هذا المفهوم ، ذهب الكثير من كبار الممثلين من مختلف الأجناس في ادائهم لدور « عطيل » على مسارحهم .

فاختياري وصف « العربي » الذي أخذت به لم يكن ارضاء للعرب ولنفسي فحسب ، بل في الوقت نفسه أخذا بمفهوم صحيح اجازته المعاجم وأخذ به الكثير من الأجانب .

كذلك – وهو الأهم – كان أخذي لهذا المفهوم استنادا الى دليل قاطع في أيدي القراء أجمعين ، هو ما قاله شكسبير على لسان « عطيل » في حديثه عن ذكرياته الأخيرة ذلك الحديث المؤثر الذي ختم به – وهو القائد الأعلى في قبرص – حياته ، قبل أن يقتص من نفسه على قتله لزوجته البريئة الطاهرة ، بالانتحار في مخدعها على مشهد ومسمع من بعض قومها . وهذا نص ما قاله «عطيل» :

رويدكم أقل كلمة أو كلمتين . لقد أديت لجمهورية البندقية بعض الخدمات وهم يعرفونها ، فلا حاجة بي الى الافاضة في هذا الشأن . ولكني أرغب اليكم ، حين تقصون قصتي التعسة في رسائلكم ، أن تذكروني بحقيقتي دون نقص يلطف منها أو زيادة يمليها القصد السيء . فاذا فعلتم ذلك ، وجب أن تصفوني في صورة رجل لم يعشق بتعقل ، ولكنه كان صادقا أشد الصدق في عشقه ... رجل دافع الغيرة عن نفسه جهده ، فلما تمكنت منه تمادى فيها الى النهاية ... رجل رمت يده كالصعلوك بلؤلؤة غالية لا تعدلها في القيمة كنوز قومه كلها ... رجل غلب الأسى على عينيه ولم يكن من شيمتهما البكاء ، فذرفت منهما الدموع كأغزر ما تذرفه أشجار جزيرة العرب من صمغها الشافي . هكذا أرجو أن تصفوني . واضيفوا الى ما تقدم ، أنني عندما كنت في « حلب » واعتدى تركي على رجل من رجالكم بالضرب المهين ممتهنا دولتكم ، وثبت به وأخذت بمخنقه ، وضربت بخنجري عنقه هكذا (ويذبح عطيل نفسه) .

من يسمع أو يقرأ هذه الذكريات الأخيرة التي وردت على لسان «عطيل» ، يؤمن – لا محالة – مثلنا أنه يذكر في اللحظة الأخيرة ،



التدليل من كلام شكسبير على أن « عطيل » الشخصية الشكسبيرية قد أراد لها مبدعها أن تكون عربية لا مغربية .

بلاده العزيزة ، بلاده القريبة من شبه جزيرة العرب ، انها — على وجه التخصيص — الشام الخاضعة للحكم التركي ، ويدل على ذلك ما ذكره عن مقامه في « حلب » — حلب الشهباء — عند اعتداء بعض الترك على أحد البنادقة أثناء زيارتهم لها ، قادمين من قبرص التي كانت تابعة لجمهورية البندقية . ولا حاجة بنا للاشارة الى أن جزيرة قبرص واقعة في شرق البحر الأبيض المتوسط ، فهي الى بلاد الشام العربية أقرب جدا منها الى بلاد المغرب .

فكيف يجوز لصديقنا العالم العربي وأمامه هذه الأسانيد القاطعة ، أن لا يؤمن بأن شكسبير مبدع شخصية « عطيل » في جملة ما أبدعه من الشخصيات المرموقة ، مثل « هملت » الدانمركي ، « وماكبث وزوجته » الاسكتلنديين و « روميو وجوليت » الايطاليين ... قد أراد لعطيل أن يكون شخصية عربية ، نشأت في حلب التي ذكرها أو من بلد عربي آخر من بلاد الشام أو غيرها ؟

يبقى بعد ذلك، أن نذكر من طرائف ما ذكره صديقنا الأستاذ العطار ترديده على مسامع القراء « أن شكسبير نفسه قال أن عطيل مغربي ، وكذلك أشخاص المسرحية يعرفونه بأنه مغربي ، و « ديدمونة » الزوجة التي أحبته ونسيت كل شيء الا حبيبها تقول المغربي » ، متناسيا عن قصد ، أن هؤلاء جميعا انما كانوا يشيرون الى عطيل بالكلمة الانجليزية «Moor» ، وهي تعني « مغربي » كما تعني « عربي » كما سبق اقرار الصديق بذلك نقلا عن المعاجم .

ومن قبيل المغالطـــات ، أن يورد الصديق هذه الحقيقة التي يعرفها الجميع عن مسرحيات شكسبير عامة ، لا مسرحية «عطيل» وحدها ، فيقول « ان قصة عطيل ليست خيالا محضا من صنع شكسبير ، وفضله فيها أنه نقلها بقلمه وأبدع في هندسة بناء القصة » .. يقول الصديق ذلك ليخلص بعده الى أن عطيل ما دامت قصته قد اقتبسها شكسبير من مجموعة قصص جمعها كاتب ايطالي ، فتكون « شخصية عطيل ليست شخصية شكسبيرية بحال من من الأحوال » . وهذا ما لم يقله أحد في العالمين ممن قرءوا شكسبير ، لأن اقتباس موضوع القصة شيء غير الابداع في رسم شخصياتها كما يفعل شكسبير ، ومن ثمة ما نراه من تسميتهـــا « شخصيات شكسبيرية » حتى التاريخية منها ، وذلك باجماع كل الناقدين في مغارب الأرض ومشارقها ، ونخص منهم بالذكر هنا الأستاذ العقاد في قوله :

« ان الأمر في رسالة شكسبير أكبر من أمر الترجمة عن الانسان ، وأكبر من أمر تصويره أو وصفه أو التعبير عنه . فليس من النادر أن نعرف انسانا ، فنصوره بصفة غالبة عليه ، أو نصوره بجميع صفاته التي يدركها عارفوه . ولكن النادر أن نخلق صورة منه ندعها ماثلة في عالم الكتابة تعيش كما يعيش الأحياء ، وتحيا لو نفخ الله فيها روح الحياة ، فاذا هي نسخة أخرى من صاحبها في قوله وعمله ، في سره وعلنه ، وفي خاصة نفسه ، وفيما يرتبط به مع الناس من مجاوبة في الشعور ومعاملة في الخير والشر والموالاة والعداء .

فرّق بين الشخصية ، وبين الحكاية عنها بالوصف أو بالتعبير .. وابداع الشخصية في عالم الفن ، هو رسالة « شكسبير » .

وهنا نتوقف . فقد قلنا ما يعنينا تصحيحه من تعقيبات الصديق العطار ، وأما ما عدا ذلك ، فنصرف النظر عنه . كما أنه يسرنا أن تكون كلمة عملاق أدبنا العصري الأستاذ العقاد هي مسك الختام . ونرجو أن يكون الصديق العزيز أحمد عبد الغفور العطار قد استمتع كما استمتعنا بهذا الحوار الأدبي الحار ، وأن يكون قد شاركنا في المتعة الأدبية سائر السادة القراء ■

(١) نختتم بهذه المقالة النقاش الطويل الذي دار بين الأستاذ الراحل عبد الرحمن صدقي ، طيب الله ثراه ، وأحمد عبد الغفور عطار ، أمد الله في عمره ، حول شخصية عطيل . « قافلة الزيت »



بقلم الاستاذ الراحل عبد الرحمن صدقي

الصحافة في الحجاز



تأليف : الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ
عرض وتعليق : الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

لم يكن معروفا تاريخ الصحافة في الحجاز معرفة دقيقة الا عند بعض المختصين بالدراسات في هذا الموضوع ، ولم يكن ما لدى هؤلاء من العلم عن الصحافة في الحجاز الا اليسير ، وعندما كتب الأستاذ رشدي ملحس بحثه لم يكن دقيقا فيه ، وان كان له فضل السابقين

ولعل خير ما ظهر للناس من البحوث بحث الأستاذ الكبير محمد سعيد العامودي الذي كتبه بعنوان « من تاريخ الصحافة في بلادنا » ، وبحث كتبه الأديب السيد ابراهيم هاشم فلالي ولم ينشره ، وفيه معلومات دقيقة ، وذكر في بحثه ان تاريخ الصحافة في الحجاز يدين لوالي الحجاز المصلح الكبير العادل عثمان نوري باشا ، وسرد أسماء بعض الصحف وعرفها تعريفا دقيقا .

وفي سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م) كان السيد الفلالي قد أعد بعض بحوثه ومقالاته لتصدر في كتاب بعنوان « أين نحن اليوم ؟ » وبحث موضوعه « الصحافة في الحجاز » فلم يجده ، ولعله تركه مع أوراقه التي تركها بمكة المكرمة عندما غادرها الى مصر يتخذها دار غربته .

ومع ما كتب في تاريخ الصحافة في الحجاز فان موضوعه ما زال في حاجة الى مزيد من البحث العلمي ، حتى تصدى له الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ المدرس بكلية الآداب بجامعة الرياض فوفى البحث حقه في كتابه المسمى « تاريخ الصحافة في الحجاز ١٩٠٨-١٩٤١ دراسة ونصوص » .

والدكتور الشامخ من أبناء المملكة النابغين ذوي العلم الغزير ، والثقافة الواسعة ، ومن الباحثين القلائل الذين يحسنون البحث .

وكتابه هذا يجمع في كل فصوله بين عمق البحث وسعة الاطلاع واستيعاب الموضوع وتحري الحق والصواب والدراسة الجادة والأسلوب الرائع .

وأدركت من قراءة كتابه أن منهجه كان شديد العسر عليه ، عظيم التكاليف الأدبية والمادية وهو منهج علمي لا يطيقه الا أمثاله من المفكرين والباحثين .

وقد حدد المؤلف خطة بحثه ومنهج عمله في مقدمة الكتاب ، اذ قال : « وقد حاولت في الصفحات التالية أن أدرس صحافة الحجاز دراسة تاريخية ، وأن أشير الى ما قامت به من دور في خدمة الحركة الفكرية والأدبية ، وحيث أن أعداد بعض هذه الجرائد – ولا سيما جرائد العهد العثماني – من الندرة بحيث لا يتيسر لعدد من القراء أن يطلعوا عليها فقد ألحق كل باب من الأبواب الثلاثة التي تتكون منه هذه الدراسة بفصل يشمل نصوصا من هذه الصحف تلقي أضواء على تاريخها ، وقد قدم لكل نص منها بمقدمة موجزة تبين أهميته ، وتشير الى ما فيه من حقائق تتصل بتاريخ هذه الصحافة » .

والفترة الزمنية التي حددها المؤلف في بحثه تقع في الفترة ما بين ١٩٠٨ و ١٩٤١م ويكاد جانب أو جوانب كثيرة من هذه الفترة يكون محجوبا بالظلمة التي تحتاج الى جهد ضخم متصل الحلقات ممن يريد تبديدها حتى تنجلي الحقيقة المتوخاة بالنسبة لصحافة الحجاز في ابان طلعتها الأولى .

ومع أن العهد حديث فان الغموض يغشاه ، ومع أن جهودا بذلت لتجليته فان الموضوع كان في حاجة الى المزيد من البحث والدراسة حتى تناوله الدكتور الشامخ فجلاه خير ما تكون التجلية .

ولقد اتسع جهد الدكتور الشامخ حتى وسع المراجع التي لا تتيسر الا للندرة من كبار الباحثين الدارسين الألى ينفقون الجهد في سخاء وأريحية ، سواء أكان هذا الانفاق للجهد الأدبي أم للجهد المادي ، فهو قد رجع الى من لديهم علم بموضوعه البكر ، فسألهم ، وبحث من مراجعه في مظانها بمكتبات مكة المكرمة حرسها الله ، ومكتبة جامعة الرياض ، ومكتبة الأبحاث العربية التابعة لأرامكو بالظهران ، ومكتبة معهد الادارة العامة بالرياض ، ومكتبة البلدية ومكتبة حقي طارق أس باستنبول .

وبعد أن استوفى المؤلف القدير بحثه في هذه المكتبات دفعته الصبوة الى المزيد من البحث والدراسة الى أن يوسع نطاقهما فشد رحاله الى نصف الكرة الغربي وبحث في مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن ، وفي مكتبة جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس ، ومكتبة جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية

والذين ينهجون منهج الدكتور الشامخ في البحث والدراسة يدركون ضخامة جهده وما عانى وما أنفق ، وهو جهد نفتقده في غير عشاق المعرفة ، ويظهر أثر هذه الجهود الكبيرة في كتابه القيم .

وكان بحثه في تاريخ الصحافة في الحجاز بحثا على جانب كبير من الدقة والسعة والشمول ، وأن بحث الصحافة في تلك الفترة اقتضى بحث الطباعة ، وكلتاهما حديثة كل الحداثة في الحجاز ، ووفق الدكتور لبحث حركة الطباعة منذ نشأتها الأولى ، وكان بحثه اياها كفاء بحثه الصحافة في التوفيق والتسديد .

وقسم المؤلف كتابه الى ثلاثة أبواب ، يحوي كل باب فصلين ، ثم ختمه بأسماء المراجع وفهرس الجرائد والمجلات والكتب ، وفهرس الأعلام ، وفهرس المطابع والمؤسسات الصحفية .

وتنظيم الفهارس وحده جهد لا يستطيعه الا علماء ذوو بصر ثاقب ومرانة وخبرة ، ونهج المؤلف نهج من يتخذون اللقب قبل الاسم ، وأنا أوثر تقديم الاسم على اللقب لأنه الأصل والأهم والأول وان جاز في بعض الأحوال تقديم اللقب على الاسم اذا غلب عليه أو اتفقا في الشهرة .

فالمؤلف يجعل « شكيب ارسلان » ، و « عبد الوهاب آشي » — على سبيل المثال — في حرف الألف ، لأنه اعتمد لقبيهما : آشي وارسلان .

ويفتتح المؤلف الطلعة بحثه العلمي بالباب الأول المنطوي على فصلين ، بحث في أحدهما عديدا من الموضوعات ، منها : مطبعة الولاية ، وصدور أول مطبوع دوري في الحجاز ، وتاريخ صدور « حجاز » ، و « شمس الحقيقة » ، و « الاصلاح الحجازي » ، وفي الفصل الثاني — من الباب الأول — عني بذكر قانون المطبوعات والمطابع العثماني ، ونماذج من جريدة « حجاز » وافتتاحية العدد الأول منها الخ .

ويفتتح المؤلف مادة كتابه بالفصل الأول من الباب الأول بعنوان « نشأة الصحافة في الحجاز » فيقول — تحت عنوان جانبي هو « مطبعة الولاية » : « كانت مطبعة الولاية التي أسست بمكة عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٣)م في عهد والي الحجاز عثمان نوري باشا أول مطبعة تنشأ في الحجاز ، وقد جاء في الكتاب الدوري الرسمي لولاية الحجاز « حجاز ولايتي سالنامه سي » الذي صدر باللغة التركية في عام ١٣٠١هـ (١٨٨٣ أو ١٨٨٤م) ان عبد الغني أفندي كان حينئذ مديرا لهذه المطبعة » .

وهذا حق فأول مطبعة تقام في الحجاز هي هذه المطبعة التي أسست في سنة ١٣٠٠هـ بمكة المكرمة ، وكلمة « في عهد والي الحجاز عثمان نوري باشا » لا تحدد مؤسس المطبعة اذ يجوز أن يكون غير عثمان نوري باشا .

ولكن المؤلف نفسه يذكر في صفحة ١٦ من كتابه نصا يفهم منه أن عثمان نوري هو المؤسس ، والنص هو : « وقد أشار محرر الجريدة الرسمية « حجاز » في عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) الى ما أصاب المطبعة من اهمال فقال : « ان مطبعتنا التي هي أحد التذكارات المهمة المتروكة للولاية من طرف المرحوم عثمان باشا الوالي الأسبق من حين تاريخ تأسيسها وبنائها وانفكاك الوالي المشار اليه من هنا » .

وأنا مطمئن الى أن عثمان نوري باشا هو الذي أسس المطبعة وشيد مبناها ، وقد سمعنا ذلك من أبي وجيلة ذلك ، ومن الثابت أن هذا الوالي كان من الولاة الصالحين العادلين في الحجاز .

وفي هامش « مرآة الحرمين » لابراهيم رفعت باشا ١ : ١٩٧ :

« ولي أمر الحجاز لأول مرة سنة ١٢٩٩ هـ .

« وهو رجل ذكي شهم سياسي ، تحيل في القبض على الشريف عبد المطلب الذي هم بالخروج على الدولة فعزلته عن امارة مكة ، وولت مكانه عون الرفيق باشا ، وقد وشى هذا بعثمان نوري باشا لما أنه غل يده عن المكوس والمظالم التي كان يتقاضاها من العربان والحجاج الخ .

« وعين واليا على اليمن ثم أعيد الى ولاية الحجاز ، وقد أصلح مجرى عين زبيدة وعمل فيها صنابير (حنفيات أو بازانات) .

وهو الذي أنشأ ديوان الحميدية ودار البريد والثكنات العسكرية بمكة وجدة ، وأنشأ سور ينبع » وفي « مرآة الحرمين » ١ : ١٩٧ :

« ان والي مكة المكرمة المشير عثمان نوري باشا كان قد أنشأ بالقرب من معسكر المحمل بستانا بهجة للناظرين ، فيه من الأشجار أجملها ، ومن الثمار أطيبها ، واباحه لأهل مكة يتنزهون فيه ، ويستظلون بوارف ظله ، وكان أول ما أنشئ من متنزهات » .

وتحدث المؤلف عن الصحف التي صدرت في الحجاز منذ الحكم العثماني وعهد الشريف حسين وابنه الشريف علي ثم العهد السعودي الى سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) حديث الباحث العالم ، فوفى البحث حقه ، وأعطانا صورة واضحة صحيحة المعالم والمعلومات والسمات عن تلك الصحف .

أعطانا صورة صحيحة عن الصحف الصادرة في العهد العثماني من سنة ١٣٢٦—١٣٣٤هـ (١٩٠٨—١٩١٦م) وهي : « حجاز » و « شمس الحقيقة » ، و « الاصلاح الحجازي » ، و « صفاء الحجاز » و « الرقيب » و « المدينة المنورة » ، وعن الصحف التي صدرت في العهد الهاشمي من سنة ١٣٣٤—١٣٤٤هـ (١٩١٦—١٩٢٥م) وهي : « القبلة » ، و « الحجاز » و « الفلاح » ، و « بريد الحجاز » ، « ومجلة مدرسة جرول الزراعية » .

وعن الصحف التي صدرت في العهد السعودي في الفترة التي تبدأ من سنة ١٣٤٣ — ١٣٦٠هـ (١٩٢٤ — ١٩٤١م) وهن ثلاث جرائد وثلاث مجلات ، والجرائد هن : « أم القرى » و « صوت الحجاز » بمكة المكرمة و « المدينة المنورة » بالمدينة المنورة ، والمجلات : « الاصلاح » و « النداء الاسلامي » بمكة ، و « المنهل » بالمدينة المنورة .

وبحث المؤلف العالم أثر الصحف التي صدرت في العهد العثماني في حياة الحجاز ، وناقش بعض الآراء فقال في (ص ٥٣ — ٥٤) :

« لقد كانت سنة ١٩٠٨ بداية حقبة جديدة في تاريخ الحياة الفكرية في الحجاز ، اذ صدرت ست صحف محلية في الفترة ما بين ١٩٠٨ — ١٩٠٩ ، واذ شهد الحجاز ورود جرائد عربية أخرى مما كان يصدر خارج ولاية الحجاز . أنه لا بد أن جمهور القراء في الحجاز قد تعرضوا حينئذ لتأثير فكري مفاجئ أحدثه اطلاعهم على عدة صحف محلية وخارجية كانت تمثل مصالح متنوعة ، وتعبر بجرأة وصراحة عن وجهات نظر مختلفة ..

« ومهما يكن فان أحمد علي ومحمد سعيد العامودي ينفيان مثل هذا التأثير .

« يقول أحمد علي في حديثه عن قيمة كل من « حجاز » و « شمس الحقيقة » بأن : « ليس لهما أي أثر في البلاد ، انما تذكران بكونهما مبدأ تاريخ الصحف والصحافة بمكة » .

« وحين يلخص العامودي نتيجة عرضه الموجز لأكثر صحف هذه الفترة يؤكد بأنه : « لم يكن لهذه الصحف أية قيمة أدبية أو سياسية أو أي أثر في تكوين الوعي أو توجيه التفكير » .

« وحيث أنه لا يتصور ألا يكون لصحيفتين محليتين رائدتين هما « حجاز » و « شمس الحقيقة » أثر صحفي في بلد كانتا تخاطبان اهله وتعالجان شؤونه ، فانه من الواضح أن قول أحمد علي ما زال في حاجة الى مزيد من الأدلة » .

« أما بالنسبة لما قاله العامودي عن القيمة الأدبية لصحف هذه الفترة التي يبدو أنه لم ير بعضها ولم يطلع الا على أعداد قليلة من بعضها فانني لا أجرؤ على تقدير القيمة الأدبية لصحف لم أستطع الاطلاع على جزء منها ، ولكنه من الممكن أن يقال بأنه قد كان لجريدة « حجاز » — التي نفى العامودي قيمتها الأدبية ضمن ما نفى — أهمية أدبية واضحة » .

« لقد كان فيها ركن أدبي نشرت فيه قصائد لشعراء معاصرين كشوقي وحافظ ، وكانت تقدم لهذه القصائد بمقدمات نقدية رصينة تدعو الى الاصالة في الأدب ، وتهاجم الشعراء المقلدين ، وتنادي الأدباء أن يتخذوا من شوقي – الذي مزج في شعره بين عناصر من الثقافتين الشرقية والغربية – مثالا يحتذى » .

« انه لا يجوز أن ينكر أن « حجاز » قد أسهمت في الحركة الأدبية الحديثة في الحجاز ان لم تكن قد ابتدأتها ، كيف لا وقد تبنت مثل هذه المفاهيم الأدبية الحديثة ودعت الى مثل هذه الأفكار الواعية ؟ » .

« أما بالنسبة لما نفاه العامودي من أهمية صحف هذه الفترة من الوجهتين السياسية والاجتماعية فانه من الواضح أن « حجاز » و « شمس الحقيقة » و « الاصلاح الحجازي » كانت مشغولة أصلا بالشؤون السياسية والاجتماعية وأنها كانت تدعو بحماس الى التطور الاجتماعي والتعليمي » .

« ولقد ثار بين « شمس الحقيقة » ، و « الاصلاح الحجازي » جدل سياسي عبرت فيه كل صحيفة عن آراء فئات معينة متنافسة » .

« انه ليس من السهل تقدير مدى تأثير هذه الجرائد القديمة أو معرفة كمية توزيعها ، ولكن الشيخ نصيف وبكر شرف قد أكدا اقبال الجمهور على بعضها واهتمامه الشديد بما كان يناقش فيها من موضوعات ، وما على المرء الا أن يتذكر كيف حاول الشريف حسين أن يمنع توزيع صحيفة من هذه الصحف ، وأن يشجع أخرى ليدرك مدى تأثير هذه الجرائد على الرأي العام في ذلك الوقت » .

« واعتمادا على هذه الحقائق فانه من الممكن أن يقال بأن آراء كل من أحمد علي والعامودي قد اتسمت بالتعميم ، وافتقرت الى الأدلة الواضحة » .

وانا مع الأستاذ الشامخ في رأيه ، واذا كانت الحصا الصغيرة تؤثر في صفحة البحر فلا يعقل ان صحفا تصدر في بلد لا تترك فيه أي أثر في وقت بدأ فيه التفتح والوعي .

وأزيد أن مكة حرسها الله لن تستطيع أن تكون بمعزل عن الحركات العالمية أو العربية أو الاسلامية مهما أريد لها من العزلة .

فمكة لم تغلق قط في وجوه قاصديها من أقطار الاسلام والعروبة ومن الأقطار الغربية أيضا وليس كل القاصدين من العامة ، بل فيهم على الدوام والاستمرار أئمة الفكر وقادة مختلف الحركات ، وكانوا يقصدون الى الحج والى منافع لهم ، فقد كانوا يأخذون من علماء مكة وفقهائها العلم .

وكان العلماء والشعراء بمكة كثيرين ، وكذلك المتعلمون وطلاب العلم ، وكل الناس يتشوقون الى الأخبـــار ، وليس أهل مكة والحجاز بشاذين ، وكانت الصحافة وسيلة الأخبار الفذة الى جـــانب الرواة القادمين للزيارة والحج والعائدين الى وطنهم من أهل الحجاز .

وطبيعي أن يكون للصحافة تأثير عظيم في الحياة الفكرية والأدبية والاجتماعيـــة في الحجاز وأنا أدركت أبي ومئات من أبناء جيله كانوا أكثر شوقا الى المعرفة والى قراءة الصحف من أبناء عصرنا الذي عرف من وسائل الاعلام غير الصحافة .

واذا كنت أوافق الدكتور الشامخ فيما ذهب اليه من تأثير هذه الصحف فانني لا أوافقه على قوله : « ليس من السهل تقدير مدى تأثير هذه الجرائد القديمة » اذ أرى من السهل هذا التقدير فمجتمع مكة كان مجتمعا صغيرا ، —وكذلك كل مجتمعات المدن الحجازية — وكانت بيوت الكبراء والعلماء والأدباء وشيوخ الحي أشبه بالندوات ، وكان العامة يحضرونها ، وتتناول الأحاديث كل شؤون حياتهم وما يشغلهم منها ، وكانت الصحف تنشر ما يعرفون وما لا يعرفون ، وتنقل اليهم الجديد من الأخبار والعلوم والمخترعات مثل صحف هذه الأيام .

ولا يصعب تقدير آثار الصحافة في تلك الأيام اذا علمنا أن الكلمة المكتوبة كانت أكثر تقديرا من هذه الأيام ، والشوق الى الأخبار أشد ، ولم تكن للاعلام وسائل غير الصحف والرواة ، ولم يكن ما يشغل النفوس من التعلق ، وكان لدى الناس فراغ كثير .

ومنذ خمسين عاما صدرت جريدة « بريد الحجاز » بجدة وكنت أرى تهافت الناس عليها ، وكنت حينئذ بجدة مع والدتي واخوتي الكبار انتقلنا اليها أيام الحرب بين الاشراف والسعوديين ، ثم عدت الى أبي الذي أصر على البقاء بمكة ، وكانت الجريدة تصله كما كانت تصل الى غيره .

وهذه اللهفة كانت موجودة في العهد العثماني وانكار تأثير صحفه أو التقليل منه يناقض الواقع وطبيعة الناس وصبوتهم الى معرفة الأحداث والأخبار

وفي العدد الثاني من جريدة « حجاز » الصادر في ١٥ شوال ١٣٢٦هـ (١٠ نوفمبر ١٩٠٨م) جاء :

« ان جريدتنا هذه نالت توجيها عظيما من الأهالي أولئك الكرام الذين لم يروا الى اليوم بين ظهرانيهم عملا كهذا وجهته خدمة المعارف انها لم تكد تظهر حتى لم تبق منها نسخة حيث بيع المطبوع جميعه في ظرف سويعات قليلة ، وتلك همة كبيرة ووطنية عالية من كرام الأهالي حقيقة بكل تبجيل ، واننا بمجرد ورود الورق وانتظام الشغل نكبر حجم الجريدة ، وربما أصدرناها ذات ثماني صحائف ، كما لنا الأمل في اصدارها مرتين في الأسبوع (١) » .

ولا يمكن تصور صحافة بدون أثر مهما كانت الأمية منتشرة وغالبة ، ولهذا لا أوافق الاستاذين الجليلـــين : العامودي وأحمد علي على رأيهما ، وأعتقد أن الآثار التي تركتها الصحافة في العهد العثماني آثار جليلة ، ومنها أنها مهدت لقيام صحافة تستطيع أن تدخل المباراة مع صحافة الأقطار العربية ، وترجح عليها في أمور .

ووجود الطباعة في العهد العثماني كان نقلة حضارية عظيمة الأثر ، وأسهمت مع مصر وغيرها في نشر الكتب العربية ، وقد نشرت مطبعة الولاية بمكة المكرمة كتبا كثيرة جهلها الناس لبعد عهد طباعتها وندرة وجودها .

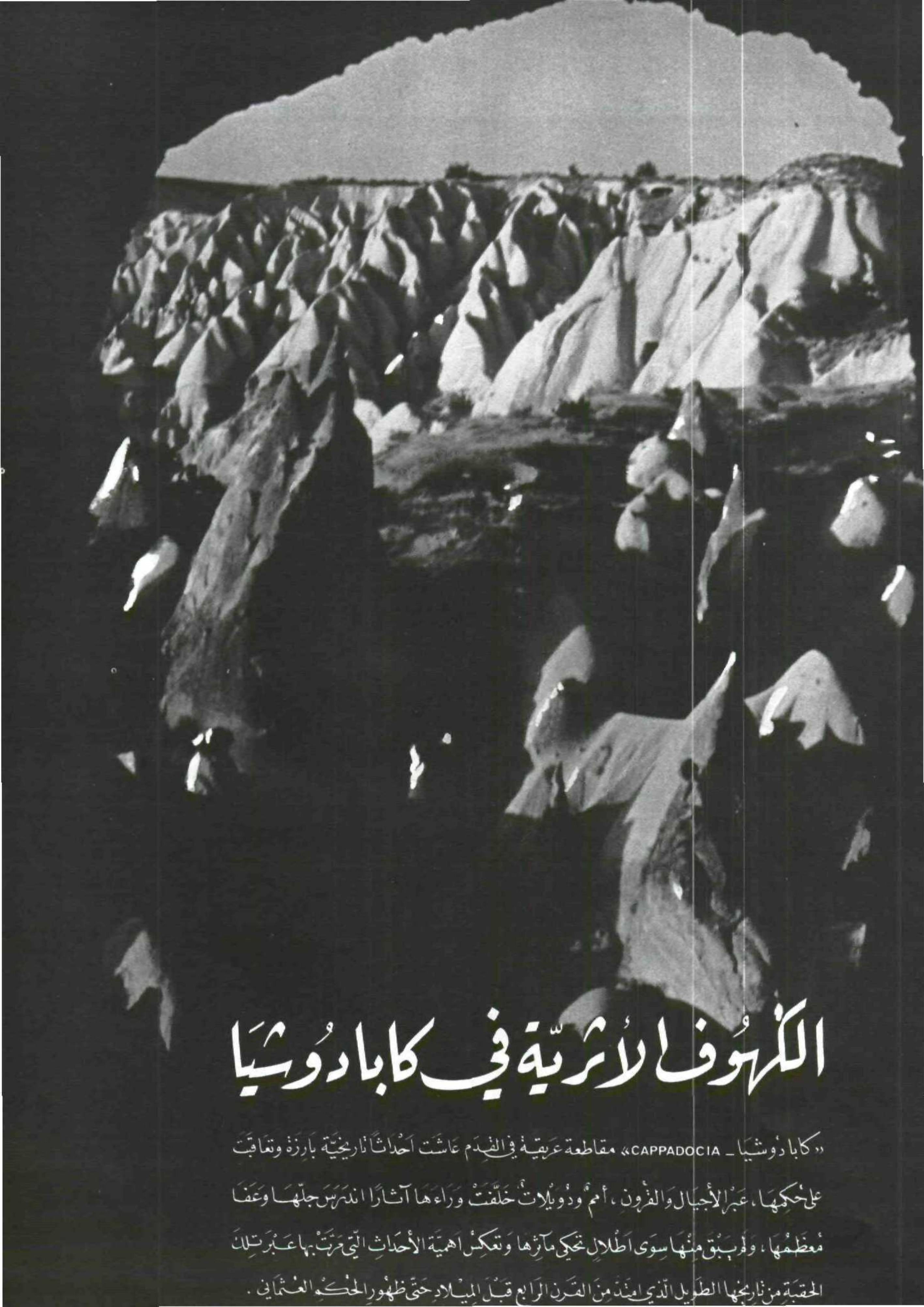
وأحس الدكتور الشامخ ، اذ ذكر في كتابه القيم فهرسا بالكتب العربية والكتب التي صدرت باللغة الملايوية من مطبعة الولاية بمكة المكرمة نقلا عن « سالنامه ولاية الحجاز » التي نشرت في عام ١٣٠٣هـ (١٨٨٦م) قائمة تلك الكتب ، ومنها :

- « تسهيل المنافع في الطب والحكمة » ، للشيخ ابراهيم بن الأزرق ، وبهامشه كتاب « الطب النبوي » للامام الذهبي .
- « تنبيه الغافلين ، وبهامشه بستان العارفين لأبي الليث السمرقندي » .
- « الرسالة المسماة فتح القدير باختصار متعلقات نسك الأجير » .
- « تحفة الصبيان في الفقه على مذهب النعمان ، وبهامشه « كفاية الغلام » للنابلسي .

وكتاب الدكتور الشامخ « الصحافة في الحجاز » من الكتب العلمية التي لا تقرأ بحذر يفرضه موضوع البحث في الصحافة في فترات وعهود مختلفة ، لأن نزاهة البحث العلمي وتحرية الحق والانصاف والعدل ينفيان ذلك الحذر ، ويضمنان الثقة بكتابه الذي يعد خير ما كتب في صحافة الحجاز حتى اليوم ■

أحمد عبد الغفور عطار – مكة المكرمة

(١) النص من كتاب الدكتور الشامخ « الصحافة في الحجاز » ص ٧١ .



الكهوف الأثرية في كابادوشيا

«كابادوشيا ـ CAPPADOCIA» مقاطعة عريقة في القدم عاشت أحداثاً تاريخية بارزة وتعاقبت على حكمها، عبر الأجيال والقرون، أمم ودويلات خلفت وراءها آثاراً اندرس جلها وعفا معظمها، ولم يبق منها سوى أطلال تحكي مآثرها وتعكس أهمية الأحداث التي مرت بها عبر تلك الحقبة من تاريخها الطويل الذي امتد من القرن الرابع قبل الميلاد حتى ظهور الحكم العثماني.

وهي مقاطعة تقع في قلب آسيا الصغرى احتلها الكابادوشيون Cappadocians في عهد« هيرودتس – Herodutus » اليوناني ، وتمتد من جبل « طوروس– Mount Tourus » حتى « يوكسين– Euxine » وهو ما يعرف اليوم ببحر مرمرة . وتشير الروايات التاريخية الى أن الفرس هم الذين أطلقوا اسم « كابادوشيا » على المنطقة أثناء سيطرتهم وبسط نفوذهم . واشتقوا اسمهم منها ، بينما كان اليونان يدعون سكان المنطقة بالسوريين البيض .

كانت « كابادوشيا » أبان حكم آخر ملوك الفرس لها مجزأة الى قسمين أو اقليمين ، تتكون الأولى من الأجزاء الداخلية للمنطقة ، وقد ظلت هذه التسمية لاصقة بهم في كل ما كتبه المؤرخون الذين عاصروا تلك الحقبة من تاريخ « كابادوشيا » الطويل ، أما الاقليم الثاني فكان يشمل الأجزاء الجبلية الوعرة التي كانت تدعى « كاتا أوفوتوف – Kataiiovtov » أو « بنتوس » . وكانت هذه التجزئة قائمة قبل وجود المؤرخ اليوناني « زينفين – Xenophon » الذي عاش في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد .

وعلى الرغم من أن حدود « كابادوشيا » القديمة كانت غامضة المعالم فان الموسوعة البريطانية تذكر أن طولها كان نحو ٢٥٠ ميلا وعرضها حوالي ١٥٠ ميلا ، يحدها من الجنوب جبال طوروس ومن الشرق نهر الفرات ، ومن الشمال بحر مرمرة أما المنطقة الغربية فكانت تلاصقها صحراء ملحية مترامية الأطراف تدعى « أكسيلون– Axylon » ويكثر في « كابادوشيا » الأماكن الوعرة التي ترتفع الى حوالي ثلاثة آلاف قدم عن سطح البحر ، وبها أيضا سهل مرتفع رحب يعتبر من أكبر السهول المرتفعة في آسيا الصغرى وكانت الأجزاء الغربية فيها والممتدة حتى سفوح جبال طوروس عبارة عن سهول فسيحة بل مراعي خصبة تجتذب اليها قطعان الماشية . وتكثر في المنطقة الوسطى الجبال البركانية الناتئة

تكثر في سهول كابادوشيا الجبال الهشة التي تكونت على مر السنين نتيجة تراكم الأتربة والحمم التي قذفتها من باطن الأرض الجبال البركانية التي تملأ المنطقة .



والتي من بينها جبل « طوروس » الذي يبلغ ارتفاعه حوالي ١٢٨٤٨ قدما ، وجبل « حسن داج — Hasan Dag » الذي يبلغ ارتفاعه حوالي ١٠٦٧٣ قدما .

ولعل من أبرز الآثار التاريخية التي تحتضنها مقاطعة « كابادوشيا » هيكل « كومانا — Comana » وهيكل « فيناسا — Venasa » . وقد راعى المسلمون في عهد « حاجي بكتاش — Haji Bektash » الابقاء على هذه الأماكن التي خلفها الفرس واليونان ، أثناء سيطرتهم على مقاطعة « كابادوشيا » ، كما يوجد فيها عدد من الكنائس الأثرية القديمة .

وبالرغم مما كانت تتمتع به « كابادوشيا » من مكانة مرموقة في التاريخ القديم ، فانها ، بخلاف غيرها من المناطق الأخرى في آسيا الصغرى ، كانت على قدر ضئيل من الثراء ، وذلك بسبب طبيعة أرضها الوعرة وكثرة جبالها ووديانها الضيقة السحيقة مما حال دون ازدهارها من الناحيتين الزراعية والعمرانية .

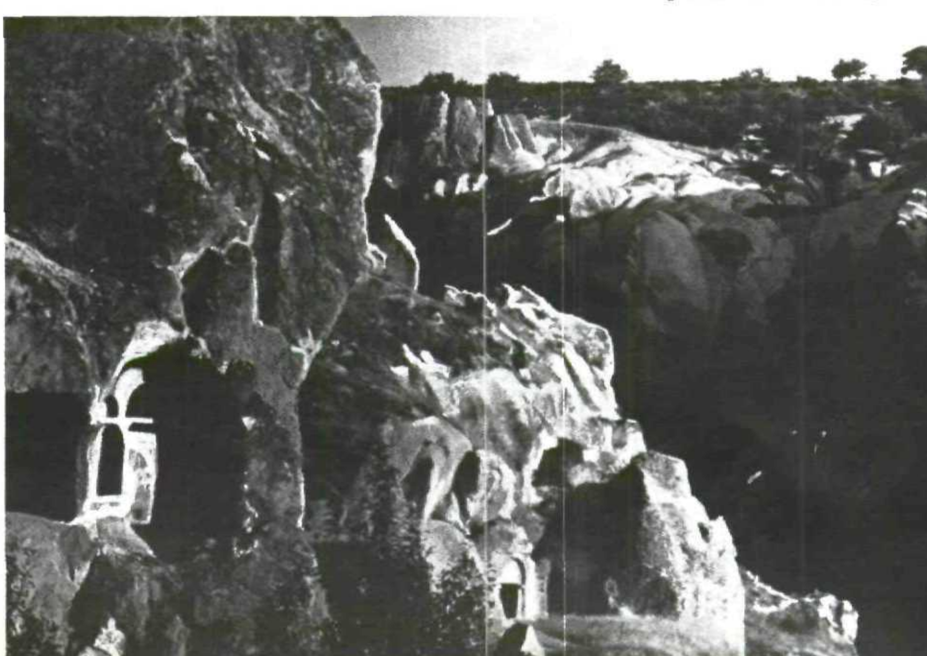
ومن أشهر الأودية في كابادوشيا وادي « جوريم Goreme » وهو ضيق سحيق تحيط به الكهوف المعلقة على سفوح الجبال والمنتشرة على شكل أقراص النحل تضفي على الوادي رونقا وجمالا ..

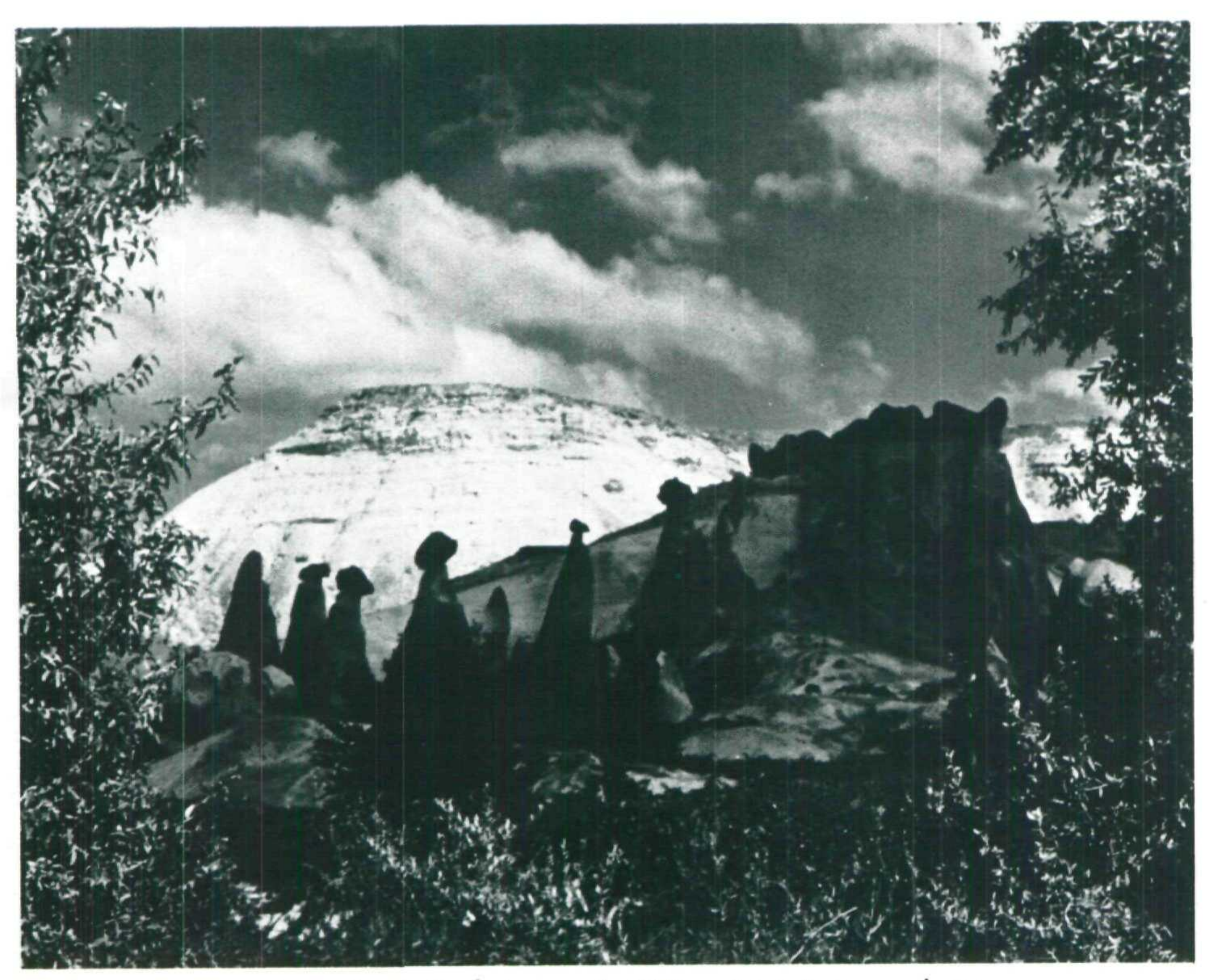
ان تركيا وهي ما كانت تدعى قديما آسيا الصغرى غنية بالتكوينات الطبيعية المثيرة والسهول المليئة بالجبال الهشة التي تكونت نتيجة تراكم الحمم والرمال التي قذفت بها الجبال البركانية فاتخذت بذلك أشكالا وأنماطا هندسية غريبة .

وكان من تأثير قوة الرياح وغزارة الأمطار التي تهطل على مقاطعة « كابادوشيا » أن تضافرت هذه العوامل الطبيعية واستطاعت على مر السنين أن تحدث في الجبال ما يشبه الاهرامات والمداخن والاقماع وغيرها من الأشكال الهندسية الجميلة وبالاضافة الى هذا الجمال الطبيعي الذي تتمتع به مقاطعة « كابادوشيا » توجد هناك كهوف ومعالم أثرية أخرى تعتبر فريدة في نوعها . وتنتشر بعض هذه الكهوف والمعالم في مجموعة من القرى المتناثرة بمحاذاة وادي « جوريم » ومن أبرزها « أرجوب Urgup » ، « وأفسلار — Avcilar » « ويوشيسار — Uchisar » ، « وأورتاهيسار — Ortahisar » ، وهي عبارة عن بيوت يطلق عليها رجال الأبحاث « المساكن الكهوفية » ، كما يوجد ثمة أنواع أخرى من الكهوف على

تنتشر الكهوف والأقبية في الجبال المحيطة بوادي جوريم في « كابادوشيا » وهي من نحت الشعوب والأمم التي استوطنت المنطقة في الأزمان القديمة .

خلفت الأمم والشعوب التي استوطنت المنطقة الكثير من الآثار البارزة ، وأهمها الهياكل التي قامت بنحتها في الجبال المحيطة بالوادي .





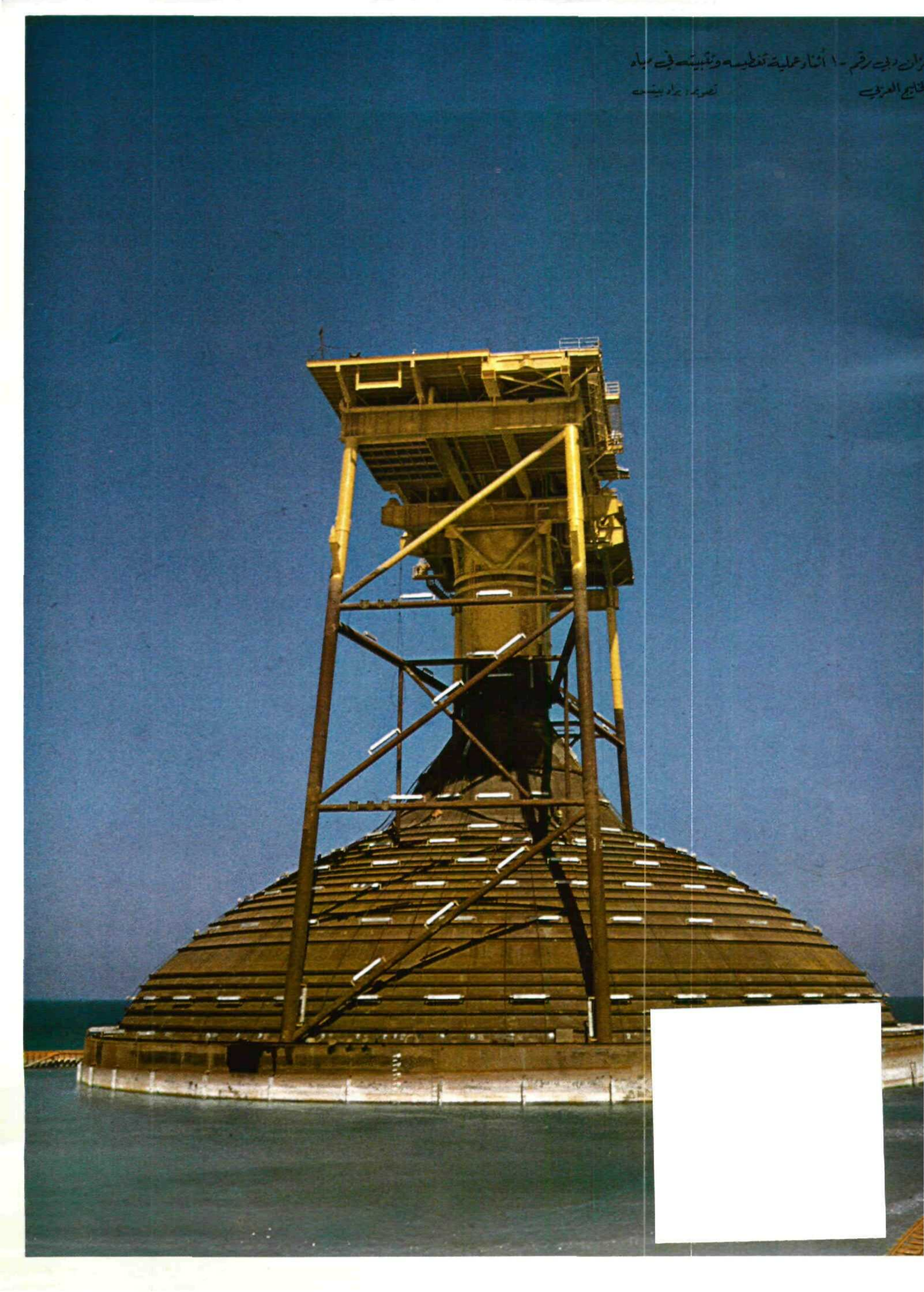
نماذج أخرى من الجبال الهشة المتعددة الأشكال بالقرب من سطح أحد الجبال البركانية بمحاذاة أحد السهول الخصبة في المنطقة والتي كانت مرتعا لأعداد كبيرة من الماشية . تصوير : ويليام تريسي

شكل أقبية يستخدمها الفلاحون في تخزين محاصيل العنب والفاكهة التي يجنونها من الحقول ذات التربة الرملية البيضاء . وقد قام الفلاحون بنحت كهوف أخرى لهم فوق الكهوف التي يسكنونها واستخدموها حظائر للحيوانات وأبراجا للحمام . لكن أكثرها اثارة تلك الأقبية والهياكل التي نحتها المستوطنون الذين قطنوا تلك المقاطعة في العصور الماضية ، وكانت جميعها على الطراز البيزنطي ذات الأشكال المتقاطعة الجميلة تزينها الأعمدة والقباب ، كما كانت أحيانا منحرفة قليلا لأنها كانت جزءا من الجبل الذي نحتت فيه .

وقد قام سكان هذه الكهوف في العهود الماضية بنحت المقاعد والطاولات والمواقد وغيرها من مستلزمات الحياة في ذلك العصر كما قاموا أيضا بنحت القبور داخل الكهوف لدفن موتاهم وكذلك شقوا ممرات عبر الصخور حتى يتسنى لهم الوصول الى الغرف والحجرات المنحوتة في الجبل وأحدثوا فيها محاور للتهوية عن طريق نحت حجارة مسطحة ضخمة يستطيع رجل واحد من الداخل دحرجتها لاغلاق المدخل ، بينما يتعذر على عدد من الرجال ازاحتها عن مكانها من الخارج . ومن ناحية أخرى ، فقد كانوا يتخذون من هذه الكهوف ملاجئ يأوون اليها طوال أيام الحصار ، أو عندما يضطرون للعودة الى كهوفهم أثناء تعرضهم لأي من الغزوات العاتية .

وهكذا عاشت كابادوشيا حقبة من الزمن خلال القرن الثالث عشر بلغت المنطقة أبانها درجة كبيرة من التقدم والازدهار ، لكنها كانت فترة قصيرة ما لبثت أن تلاشت تدريجيا حتى وصلت الى ما هي عليه اليوم ، غير أن الآثار الطبيعية والمعالم الأثرية الجميلة التي خلفتها ستظل مع مرور الزمن صورة عاكسة لتلك الحقبة التاريخية التي عاشتها «كابادوشيا» في العصور الغابرة ■

يعقوب سلام — الظهران



زان دبي رقم - ١ أثناء عملية تغطيسه وتثبيته في مياه
لخليج العربي

تصوير : براد بيتس



الأزاهير المتفتحة والورود اليانعة تنتشر على سفوح تلال نجران..
« فيحاء الجنوب » تصوير : علي محمد خليفه